جامعة الأزهر
حولية كلية اللغة العربية
بنين بجرجا

سورة العصر دراسة في المناسبات والسمات

الدكتور
محمد أمين أبو شهبة
مدرس بقسم البلاغة والنقد
في كلية اللغة العربية بإيتاي البارود
جامعة الأزهر

العدد الثامن عشر
للعام ١٤٣٥هـ / ٢٠١٤م
الجزء السابع
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٢٠١٤/٦٩٤م
الترقيم الدولى ISSN 2356-9050

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمد لله ، خلق الإنسان وهداه، ومنحه عقلاً يميط به اللثام عن سر الحياة، ولسانا هو لعقله ترجمان، ولفكره رسول بيان، وبالعقل واللسان ميز الله الإنسان من سائر الحيوان، ونبه على ذلك فى أعظم بيان فقال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤﴾(الرحمن/ ١ – ٤) .

وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له .

وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله، كان خلقه القرآن ، ووصيته القرآن، وميراثه القرآن ، وهو الذى قال : ــ صلى الله عليه وسلم ــ " خيركم من تعلم القرآن وعلمه "(١).

وبعد

فأعظم ما ينفق العبد حياته فى فهمه وتدبره هو كتاب الله ــ تعالى ــ ؛ فهو كونُه الناطق بالحق المبين، ومعجزته الخالدة التي تحدى بها أرباب الفصاحة وملوك البيان، فعجزوا عن الإتيان بمثل أقصر سورة منه، بل جفت الأقلام ، وخرست الألسنة، وانحنت الهام، وخروا لبلاغته ساجدين .

وتدبر الكتاب الأكرم من أوجب واجبات العقل، لأنه السبيل إلى استنباط معانيه، واستخراج مكنون عطائه، ولذا جعله رب العزة من أعظم غايات نزول القرآن فقال: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝٢٩﴾ (ص/٢٩).

ووسم الذين لا يتدبرون كتابه بأنهم قوم على قلوبهم أقفال، فقال:-﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ۝٢٤﴾ (محمد/ ٢٤).

---

(١) صحيح البخارى : ك: فضائل القرآن . ب: الوصية بكتاب الله .

وقد ذكر "القلب" لأنه مكان تنزل القرآن عند المؤمنين حقاً: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾ (الشعراء/ ١٩٣ – ١٩٤).

فالذى يتدبر القرآن ، ويراه بعين قلبه، وتختلط حروفه وكلماته بفـؤاده ، هو الذى يكشف الله له من مكنون العطاء مالا يصل إليه الغافل ولو حكَّ بيافوخـه السماء .

وسورة العصر من السور التي شُغلتُ كثيراً بمعانيها التي تستوعب قصة الإنسانية كاملة ، وتخط لها منهج النجاة ، وتضبط حركة حياتها وفق مراد ربها، على الرغم من إيجازها الشديد.

ولـذا آثرت أن أبدأ رحلة تدبرية فى رحاب السورة الكريمة بحثاً عـن مناسبات المعاني فى سياقها الداخلى والخارجي، وعن السمات التي ميزتها، وقـد آثرت البحث فى هذا الموضوع لأسباب عدة أهمها :

أولاً : الأسى الذى يعتصر قلبى لحال أمتنا المسلمة؛ فهى تعيش حالة من الضعف يسرى في عروق إيمانها، وعملها، ودعوتها، وأسلمها هذا الضعف إلـى هوانها على نفسها قبل غيرها، فتأخرت كثيراً بعدما كانت تتصدر المشهد الحضاري، وتحمل مشاعل النور التي تضئ للدنيا دروب الجهل، وسراديب المجهول.

وليس بين الأمة وبين صدارة المشهد إلا العودة للمنهج الإلهى، والعـيش فى ظلاله، والتقلب فى أنواره . وسورة العصر ــ على وجازتها ــ منهاج شامل لحياة الإنسانية، يأخذ بيدها ليقيم حركتها وفق مراد ربها، ويكفـل لهـا النجـاة والفلاح فى الدارين .

ثانياً : ما وقفت عليه من ألوان التناسب بين معاني السـورة فـى سـياقها الداخلي، والخارجي في ترتيب المصحف، وترتيب النزول ، وغير ذلك من

المناسبات، والعلاقات التي لا يمكن أن تصل إليها إذا حُبِست السورة فى حدود سياقها الخاص.

والبحث فى المناسبات من أفضل ما يعين على فهم وتدبر القرآن، لأنه يجعلك تقف على السياق الجزئي والكلى للسورة، والسياق المحيط بها، والسياق القرآني العام، ومدى ارتباطها به .

ثالثاً : صنيع الصحابة ــ رضوان الله عليهم ــ إذ اتخذوها شعاراً يجتمعون ثم لا يفترقون إلا عليه، فكان الرجلان إذا التقيا لم يفترقا حتى يقرأ أحدهما على الآخر سورة العصر ، ثم يسلم أحدهما على الآخر، فأي شيء فيها ليس في غيرها حتى يختارها الصحابة شعاراً لا يفترقون إلا عليه ؟ ولماذا اختاروا لحظة الفراق لتلاوتها ؟! .

رابعاً : ما روى عن الإمام الشافعي: لو تدبر الناس هذه السورة لوسعتهم، وفى رواية: لكفتهم ، فقد أثارت هذه الكلمة فى نفسي رغبة قوية فى دراسة السورة، وتدبرها، ومعرفة السمات التي ميزتها [١].

---

(١) بعد البحث والدراسة لم تتأكد عندى نسبة هذه العبارة إلى الإمام الشافعى ــ رحمه الله ــ ، وجاءت هذه الرواية بألفاظ أخرى مثل " لو لم ينزل الله حجة على خلقه إلا هذه السورة لكفتهم " وجل من رواها ينقل عن الإمام النووى ، ويقول: إنه فى مقدمة كتابه المجموع، والواقع أننى راجعت كتب الشافعى فلم أجد هذه الكلمة، بنصها، بل إن من جمع تفسير الإمام الشافعى وحققه أحال فى هذه الكلمة على مقدمة المجموع " انظر: تفسير الإمام الشافعى أحمد مصطفى رسالة رسالة دكتوراه نشر: الدار التدمرية الطبعة الأولى ١٤٢٧هـ٠ وحين راجعت مقدمة المجموع للنووى رحمه الله وجدت العبارة التى يرويها عن الشافعى : قال الشافعى : الناس فى غفلة عن هذه السورة : "والعصر إن الإنسان لفى خسر".

ــ هذا ما ورد، لكن هذه الجملة:" لو تدبر الناس هذه السورة لو سعتهم" مما شاع نسبته للإمام الشافعى، وممن نقلها: الإمام ابن تيمية، وتلميذه ابن القيم، والحافظ ابن كثيرة وغيرهم، وهى جملة لم أتأكد من نسبتها للإمام الشافعى ــ رحمه الله ــ .

وهذا وغيره دفعنى للعيش فى ظلال السورة الكريمة للوقوف على تناسب معانيها، وسماتها التي ميزتها .

وقد اقتضت طبيعة البحث أن يأتى فى مقدمة، وتمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة.

١ـ **المقدمة** : وقد ذكرت فيها أهمية الموضوع، وأسباب اختياره .

٢ـ **التمهيد** : وقد تحدثت فيه عن التناسب وأهميته، وتاريخه بصورة موجزة .

٣ـ **الفصل الأول** : التناسب فى سياق السورة الداخلى . وفيه مباحث :

المبحث الأول : بين يدى السورة.

المبحث الثانى : التناسب بين القسم وموضوع السورة.

المبحث الثالث : التناسب بين المطلع والخاتمة.

المبحث الرابع : التناسب بين آيات السورة .

٤ـ **الفصل الثاني** : التناسب فى سياق السورة الخارجى . وفيه مباحث :

المبحث الأول : السورة فى سياقها المصحفى .

المبحث الثانى : السورة فى سياقها التزيلى .

المبحث الثالث : السورة ومحورها القرآنى .

المبحث الرابع : السورة بين السورة التي بدأت بالقسم بالزمان.

المبحث الخامس: بين سورة العصر وسورة التين .

٥ـ **الفصل الثالث** : سمات السورة .

٦ـ **الخاتمة**: وفيها أهم النتائج والتوصيات .

٧ ـ **ثبت بالمراجع والفهارس** .

وختاماً أقـــــف بباب الكريم مناجياً راجياً متضرعاً باكيا اللهم يارب الأرباب، يا عظيم الجناب، يا كريم، يا وهاب، يا من إذا سأله المضـــطر أجـــاب: اللهم لا تحجب دعوتى، ولا تكلنى إلى حولى وقوتى، اللهم أرنى فى كل أمر مـــن أمور دينى ودنياى الوجه الذى يرضيك عنى، وخذ بناصيتى إليـــه فـــلا تصـــرف وجهى عنه ، اللهم لا تستخرج مِنى إلا ما يرضيك عنى ، وتـــوفنى وأنـــت راض عنى برحمتك يا أرحم الراحمين .

التمهـــيـد

- مفهوم التناسب وأهميته .
- التناسب من الفطرة إلى التقعيد البلاغي .
- التناسب والدراسات القرآنية .
- التناسب وتفسير القرآن .
- التناسب على المستوي التنظيري فى علوم القرآن .

التناسب فى اللغة : مشتق من النسب ، ومادته : " نَسَبَ" ، وهى كما يقول ابن فارس : كلمة واحدة قياسها اتصال شيء بشيء ، ومنه : " النسب " سمى لاتصاله والاتصال به ، ومنه النسيب " فى الشعر إلى المرأة ، وكأنه ذكر يتصل به، ولا يكون إلا فى النساء ، و " النَّيْسبَ " الطريق المستقيم لاتصال بعضه ببعض (١) .

وهكذا تدور المادة حول التناسق، والالتئام ، والارتباط بين شيء وآخر .

وأما فى الاصطلاح فقد ذكر أبو بكر بن العربى أنه : ارتباط آى القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني ، منتظمة المبانى (٢) .

وعرفه البقاعى ، بأنه : علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه ، وهو سر البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة الكلام لمقتضى الحال ، ثم قال : ونسبته من علم التفسير نسبة علم البيان من النحو (٣)

والتناسب والتلاؤم بين عناصر العمل الأدبى هو الذى يرفع من شأنه ويهبه قبولا يعرف به طريقه إلى القلوب والمشاعر ، وهو أمر مطبوع فى فطرة البيان الإنسانى ، فحين يعبر الإنسان عما فى نفسه ، تنبعث فى تراكيبه صورة روحه ، وينبعث فى هذه التراكيب خيط يجمع معانيها ، وينتظم حبات عقدها ، وإذا ضعف هذا الخيط الجامع ، أو انقطع كان ذلك طعنا فى بيانه ، ودليلا على تشتت عقله ، وتفرق أحاسيسه .

---

(١) مقاييس اللغة لابن فارس مادة : " نسب "

(٢) انظر البرهان فى علوم القرآن للإمام الزركشى ت: " محمد أبو الفضل إبراهيم ط : دار المعرفة بيروت ج١ ص ٣٥

(٣) نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور ، للإمام البقاعى ، ط : دار الكتب العلمية الطبعة الثالثة . ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦ ج١ ص ٥ .

وقد تمدَّح أسلافنا بمزية الجمع بين الألفاظ المتناسبة فى البيت من الشعر، كما عدُّوا فقدها مذمة تدل على ضعف المتكلم عن الإمساك بأطراف الحديث، والمزج بين الألفاظ المتناسبة .

ومن ذلك ما أورده الجاحظ عن خلف الأحمر . قال :ــ

" وبَعْضُ قَرِيضِ القوْمِ أَبْنَاءُ عَلةٍ ∴ يَكُدُّ لسَانَ النَّاطِقِ الْمُتَحَفِّظِ "

وقد ترجم الجاحظ هذا الإحساس عند أسلافنا بعبارة نقدية فقال :ــ

" إذا كان الشعر مستكرها ، وكانت ألفاظ البيت من الشعر لا يقع بعضها مماثلاً لبعض، كان بينها من التنافر ما بين أبناء العلات[١].. وأجود الشعر ما رأيته سهل المخارج، متلاحم الأجزاء، فتعلم بذلك أنه أفرغ إفراغاً واحداً، وسُبك سبكا واحداً، فهو يجرى على اللسان كما يجرى الدهان"[٢].

وبهذا النص فتح الجاحظ لمن بعده من العلماء باباً واسعاً للنظر فى المناسبات، وعلاقات المعاني والألفاظ ، وتجلى هذا الأمر فى تراث إمام البلاغة عبد القاهر الجرجانى، حتى جعل الأساس الذى أقام عليه كتابه أسرار البلاغة : هو بيان أمر المعاني كيف تختلف وتتفق، ومن أين تجتمع وتفترق[٣] .

كما سمى نمط الكلام المؤتلف " النمط العالى " فقال:" وإذا عرفت هذا النمط من الكلام وهو ما تتحد أجزاؤه حتى يوضع وضعاً واحداً فاعلم أنه النمط

---

(١) أبناء العلات: هم بنو رجل واحدٍ أمهات شتى .

(٢) البيان والتبيين للجاحظ ت/ عبد السلام هارون . مكتبة الخانجى. الطبعة الخامسة ١٤٠٥هـ ــ ١٩٨٥م . ج١ ص ٦٧

(٣) أسرار البلاغة للإمام عبد القاهر ت: محمود شاكر . طبعة : مكتبة المدنى الطبعة الأولى ١٤١٢هـ ــ ١٩٩١م ص ٢٦

العالى ،والباب الأعظم، والذى لا ترى سلطان المزية يعظم فى شيء كعظمه فيه"[١].

ثم جاء من بعد إمام البلاغة رجال دار جُل جهدهم فى التلخيص، والشرح، والتقرير، وتقعيد الأصول ، وتحرير المصطلحات ، وقسمت البلاغة ثلاثة علوم هى التي تدرس إلى الآن .

كان التناسب واحداً من الأبواب التي نالت عناية البلاغيين فتناولوا كثيراً من فنون التناسب بالتأصيل، والتحليل، والتطبيق على نصوص القرآن ، لكن هذه الفنون بقيت متناثرة موزعة على أبواب البلاغة لم يجمعها باب واحد، بل تجدها فى حديثهم عن الفصاحة ، والفصل الوصل ، ومراعاة النظير، والطباق، والمقابلة، والسجع، وتشابه الأطراف، وحسن الابتداء، والتخلص، والختام ، وغيرها .

وعلى الرغم من تفرق فنون التناسب بين أبواب البلاغة ـــــ يبقى لعلماء البلاغة الفضل فى التأصيل والتقعيد لهذا العلم ، فقد جمع علماء علوم القرآن ما تفرق عند البلاغيين، وجعلوه فى باب واحد هو: باب المناسبات، وصار من أهم مباحث علوم القرآن .

ـ أما فى ميدان الدراسات القرآنية :

فقد كان لطبيعة نزول القرآن ، وطريقة جمعه وترتيبه الأثر الأكبر فى اتساع النظر فى التناسب، والبحث عن علاقات المعاني، فقد نزل القرآن حسب

---

(١) دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجانى ت : محمود شاكر . مطبعة المدنى الطبعة الثالثة ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م ، ص ٩٥ .

الوقائع والدواعى المختلفة ، وفى أزمنة متفاوتة ، ثم رتبت آياته فى سوره ، وسوره فى جملته ترتيباً يخالف ترتيب نزوله .

وأمام تلك الظواهر، وجد الملاحدة مدخلاً للطعن على القرآن ، واتهامه بالتفكك ، والجمع بين مُشْئِم ومُعْرِق فى السورة الواحدة .

وفى مواجهة تلك المطاعن نهض العلماء للرد عليها بإبراز جوانب التلاؤم، والتناسب القرآنى،والأسرار، والمناسبات التي تجمع بين الأغراض والموضوعات المختلفة فى السورة الواحدة وكان على رأس هؤلاء الأئمة: ابن قتيبة ت ٢٧٦هـ ، والخطابى ٣٨٨ ، والباقلانى ٤٠٣ هـ .

فعقد ابن قتيبة فى كتابة:" تأويل مشكل القرآن" باباً للحكاية عن الطاعنين، وذكر من مطاعنهم: أنهم يحتجون بقوله ــ عز وجل ــ : ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾ (النساء/ ٨٢) ثم ذكروا بعض هذا الاختلاف، ومثلوا بآيات يبدو فى ظاهرها عدم التناسب فقالوا : أين قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ ..... ﴾ من قوله :﴿ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ﴿٣﴾ ﴾ (النساء/ ٣) ؟ ، وذكروا أمثلة كثيرة ، وردَّ الشيخ طعنهم فيها ببيان وجوه المناسبات والعلاقات [١].

ويوردُ الإمام الخطابى قول الطاعنين : " إنه لو نزل القرآن على سبيل التفصيل والتقسيم ليكون لكل نوع من أنواع علومه حيز لكان ذلك أحسن نظماً ، وأكثر فائدة، فتكون أخبار الأمم فى سورة، وأقاصيهم فى سورة ، والمواعظ والأمثال فى سورة ،والأحكام فى أخرى .

---

(١) راجع : تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة شرح السيد أحمد صقر ط: المكتبة العلمية د /ت من ص ٢٤ ـــ ٧٢ .

ويرد الإمام بأن ما جاء عليه القرآن أحسن فى الترتيب، وأعون على الحفظ، وأدل على المراد، وأوفى بحاجات النفس التي تمل السير فى أمر واحد لمدة طويلة[١] .

أما الإمام الباقلانى ، فقد جعل التناسب بين المعاني مع اختلاف الأغراض والموضوعات وجهاً من وجوه إعجاز النظم ، فقال: " على أن القرآن ــ على اختلاف ما يتصرف فيه من الوجوه الكثيرة، والطرق المختلفة ــ يجعل المختلف كالمؤتلف ، والمتباين كالمتناسب، والمتنافر فى الأفراد إلى حد الآحاد ، وهذا أمر عجيب تبين به الفصاحة، وتظهر به البلاغة ويخرج به الكلام عن حد العادة"[٢].

التناسب وتفسير القرآن :

ثم خطا البحث فى التناسب خطوات واسعة حين أدخله المفسرون ميدان التطبيق على كتاب الله ، ولم يكتفوا بمجرد الاستشهاد، والتمثيل ، وكذلك حين اختصه بعض العلماء بالتأليف على المستوى التنظيرى .

ففي الجانب التطبيقى تأتى كتب أئمة المفسرين دليلاً على ذلك ، لكننا نلفت إلى أن من المفسرين من اهتم بجانب التناسب فى تفسيره، وأعطاه حظه من النظر، لكنه لم يُقِم تفسيره عليه ولم يُفرده من أجله، ومن هؤلاء: الإمام الزمخشرى، والإمام الرازى. وهو أكثر العلماء اهتماماً به فى تفسيره، والإمام السيوطى.

---

(١) بيان إعجاز القرآن للإمام الخطابي ضمن ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن ت: محمد زغلول سلام ط / دار المعارف الطبعة الثانية ١٣٨٧هـ ١٩٩٨م . ص ٧٢ .

(٢) إعجاز القرآن للإمام الباقلانى . شرح وتعليق : د/ محمد عبد المنعم خفاجى ط/ دار الجيل بيروت. الطبعة الأولى ١٤١١هـ ــ ١٩٩١م . ص ٨٩ .

ومنهم من أقام تفسيره عليه، وأفرده من أجله، وسلطان هؤلاء هو الإمام البقاعى ــ رحمه الله ــ .

ونبدأ بعرض جهد هؤلاء الأعلام فى إيجاز شديد .

فالإمام الزمخشرى ــ رحمه الله ــ ت ٥٣٨هـ يقدم فى تفسيره "الكشاف" تطبيقاً لنظرية النظم التي وضعها عبد القاهر الجرجانى، ومفهوم النظم كما يتصوره الزمخشرى يعنى: بيان الروابط والعلاقات بين الجمل، وكيف يدعو الكلام بعضه بعضاً، وكيف يأخذ بعضه بحجزة بعض(١).

ولذا اهتم ــ رحمه الله ــ بألوان التناسب، وتطبيقها على القرآن، لكنه لم يقم تفسيره عليها وإنما كان مشغولاً بقضية النظم .

أما الإمام الرازى ت٦٠٦هـ ــ رحمه الله ــ فقد كان ــ فى عصره ــ أكثر العلماء اهتماماً بإظهار المناسبات فى القرآن الكريم ، لأنه كان يرى أن أكثر لطائف القرآن مودعة فى الترتيبات والروابط ، بل جعل التناسب من وجوه الإعجاز القرآنى ، فقال فى آخر سورة البقرة: إن من تأمل فى لطائف هذه السورة ، وفى بدائع ترتيبها علم أن القرآن كما هو معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه ، فهو أيضا معجز بحسب ترتيبه ، ونظم آياته، ولعل الذين قالوا إنه معجز بأسلوبه أرادوا ذلك(٢).

وعلى الدرب يسير الإمام السيوطى ت ٩١١هـ فى كتابه " قطف الأزهار فى كشف الأسرار" وهو كتاب فى التفسير وقف فيه الإمام عند آخر سورة التوبة،

---

(١) البلاغة القرآنية فى تفسير الزمخشرى د/ محمد أبو موسى ط: وهبة الطبعة الثانية ١٤٠٨هـ ــ ١٩٩٨م . ص ٢٣٦ .

(٢) مفاتيح الغيب للإمام الرازى تقديم خليل محى الدين . ط/ دار الفكر بيروت ١٤١٥هـ ــ ١٩٩٥م م/٤ ج/٧ ص ٤٧٠ .

وطبق فيه نظرية النظم بدقة وروعة ، كما اهتم كذلك بإبراز المناسبات بين السور والآيات .

يقول الإمام:" وهذا كتاب فى أسرار التنزيل . أذكر فيه جميع ما وصل إلى علمى من كلام العلماء فى النظم القرآنى من أسرار التقديم والتأخير، والتأكيد، والحذف والإيجاز ، والنكت البيانية ، والأنواع البديعية، إلى غير ذلك، وسر ما اختلفت فيه الآيات المتشابهة من تقديم، أو تأخير، أو زيادة، أو نقص ، أو إبدال كلمة بأخرى.. ، وأبين مناسبة ترتيب السور ، والخفى من مناسبات الآيات، إلى غير ذلك مما تراه من النكت والأسرار"(١).

وعلى نهج هؤلاء الأئمة سار بعض المفسرين فى العصر الحديث ، فاهتموا بإظهار المناسبات فى القرآن الكريم، ومنهم: الشيخ رشيد رضا ــ رحمه الله ــ فى تفسيره "المنار" ، والعلامة ابن عاشور فى تفسيره "التحرير والتنوير"، والشيخ سيد قطب فى تفسيره "الظلال" .

وهذه التفاسير جميعها عنيت بإظهار المناسبات، وإن كان تفسير الإمام الرازى أعلاها، وأرسخها قدما فى هذا الباب ، لكنها جميعاً لم تفرد من أجل المناسبات، وإنما اهتمت، بها وأظهرتها فى معالجتها لتفسير القرآن.

= **ثم يأتى** :

"نظم الدر فى تناسب الآيات والسور" للإمام البقاعى ت: ٨٨٥ هـ ، وهذه خطوة أخرى فى حياة التناسب؛ إذ أفرد البقاعى تفسيره لبيان تناسب الآيات، والسور، فتتبع القرآن يربط كل آية بأختها، وكل سورة بسابقتها ولاحقتها، حتى

(١) قطف الأزهار فى كشف الأسرار للسيوطى ت: أحمد الحمادى. إصدار وزارة الأوقاف القطرية . الطبعة الأولى ١٤١٤هـ ــ ١٩٩٤م . ص ٩٥ ــ ٩٦ .

انتهى إلى سورة الناس التي عاد فربطها بفاتحة الكتاب، لأنه يقيم تدبره البيان القرآنى على أساس : أن جميع كلمه، وآياته، ومعاقده، وسوره يرتبط بعضها ببعض ارتباطاً معنوياً ، وبيانيا ، وأن كل سورة لها مقصد كلىّ عظيم مهيمن على جميع أجزائها ،هو منها بمنزلة الروح من الجسد فى عالم الخلق "[١].

ولا نبالغ حين نقول : إن كتاب البقاعي هو أهم وأعظم ما كتب فى تناسب الآيات والسور، ولا يستطيع أن يتجاوزه باحث فى مناسبات القرآن ، وإن لم يخل أحياناً من تعسف، أو تكلف .

وإذا كان الإمام البقاعى قد تفرد بكتابه: "نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور" فإن العصر الحديث لم يحرمنا أيضاً ممن تفرد بنظرية فى التناسب تقوم على فكرة الوحدة الموضوعية للقرآن الكريم وهو المرحوم الأستاذ سعيد حوى فى كتابه:" الأساس فى تفسير القرآن".

فهو يرى اشتمال القرآن على نظرية كاملة فى الوحدة الموضوعية تشمل جميع سور القرآن، وهى قائمة على اعتبار سورة البقرة تفصيلاً لما أجمل فى سورة الفاتحة من معانٍ ومقاصد، وأن السور التالية لسورة البقرة تفصل فى معان ومقاصد وردت فى سورة البقرة، ولكل قسم ومجموعة، ولكل سورة وحدتها الموضوعية ومحورها الذى تقوم بالتفصيل فيه من سورة البقرة، كما سار الشيخ على نمط فريد فى معرفة الوحدة الموضوعية لكل سورة، ولكل قسم من أقسام السورة وبين تلاحم الآية واتصال أجزائها، وارتباط ذلك كله بمحور السورة ، ثم

---

(١) الإمام البقاعى ومنهاجه فى تأويل بلاغة القرآن أ.د/ محمود توفيق سعد. ط :مكتبة وهبة، الطبعة الأولى ١٤٢٤هـ ــ ص ١٣٧ .

ارتباط السورة بسياقها القريب ومحورها القرآنى فى سورة البقرة،وهذه النظرية على صورتها تلك لم يسبقه إليها أحد"[١].

" **تناسب السور** "

أُفرد هذا الباب بالتأليف بعد أن كان مقرونا بتناسب الآيات فى كتب التفسير التي ذكرناها، لكنه دُرس من زوايا مختلفة، فمنهم من ألف لبيان المناسبات بين السور، وعلى رأس هؤلاء أبوجعفر بن الزبير الغرناطى فقد وضع كتابه " البرهان فى تناسب سورة القرآن"وهو أول كتاب يفرد لبيان المناسبات بين السور ــ فيما نعلم ــ ، كذلك وضع السيوطى كتابه: "تناسق الدرر فى تناسب السور" وهو يعالج المناسبات بين السور كذلك " .

وممن سار على درب هؤلاء فى العصر الحديث : أبو الفضل عبد الله الغمارى فى كتابه "جواهر البيان فى تناسب سور القرآن " .

ومنهم من درسه من جهة التناسب بين مطلع السورة وموضوعها، أو معرفة مقاصد السورة وأغراضها، ومن هذه المؤلفات :

١ــ "مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور" للبقاعى .

٢ــ "مراصد المطالع فى تناسب المقاطع والمطالع " للسيوطى .

وأظن أن التفسير الموضوعي لسور القرآن جاء امتداداً لفكرة البقاعى، والسيوطى فى الكتابين السابقين[٢].

---

(١) انظر : نظرية الوحدة الموضوعية للقرآن الكريم من خلال كتاب الأساس فى التفسير إعداد أ.د/ أحمد الشرقاوى.

(٢) ومن هذا على سبيل المثال كتاب: نحو تفسير موضوعى لسور القرآن للشيخ محمد الغزالى ــ رحمه الله ــ وموسوعة التفسير الموضوعى لسور القرآن وهى عشرة مجلدات أصدرتها جامعة الشارقة بإشراف الدكتور مصطفى مسلم .

= ويبقى الحديث عن المناسبات على المستوى التنظيري فى علوم القرآن .

قلنا: إنه على الرغم من تفرق فنون التناسب بين أبواب البلاغة، يبقى لعلماء البلاغة الفضل فى التأصيل والتقعيد لهذا العلم ، وإن علماء علوم القرآن قد جمعوا ما تفرق عند البلاغيين، وجعلوه فى باب واحد هو باب مناسبة الآيات والسور.

وهذه حقيقة لا تحتاج فى بيانها إلى أكثر من النظر فيما خطه الفريقان .

اقرأ إن شئت كتاب "البرهان فى علوم القرآن" للإمام الزركشى تجده قد عقد باباً بعنوان "معرفة المناسبات بين الآيات " عرف فيه المناسبة، وذكر من أفردها بالتصنيف، ثم ذكر أنواع الارتباط بين آيات القرآن واستشهد لما يقول ، وهو فى هذا لا يخرج عما تفرق فى كتب البلاغة، لكنه صاحب الفضل فى جمعه وإحسان عرضه(١).

وتأثر السيوطى خطى الزركشى فعقد للتناسب بابا فى كتابه:" الإتقان فى علوم القرآن"، لكنه لم يضف فيه جديدا يختلف عما ذكره صاحب البرهان (٢) .

وعلى نهج هؤلاء الأئمة ظهرت فى العصر الحديث مؤلفات فى علوم القرآن جعلت للتناسب نصيبا من البحث والدراسة، ومنها : ــ

ــ " التبيان فى علوم القرآن " للمرحوم الشيخ طاهر الجزائرى .

---

(١) راجع البرهان فى علوم القرآن للزركشى ط: دار الفكر الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ ج١ من ص ٦١ ــ ٨٥ .

(٢) راجع الإتقان فى علوم القرآن للسيوطى ط: دار التراث د/ت . ج٣ من ص٣٣٢ ــ ٣٣٨ .

ـ "منهج الفرقان فى علوم القرآن " للشيخ محمد على سلامه .

ـ "مناهل العرفان فى علوم القرآن " للإمام الزرقانى .

ـ "إتقان البرهان فى علوم القرآن " للدكتور فضل حسن عباس .

ويبقى أن نلفت فى نهاية هذا التمهيد إلى خطأ شائع بين الباحثين وهو أن الشيخ أبا بكر النيسابورى هو أول من سبق إلى علم المناسبة .

قال السيوطى: " وأول من سبق إلى علم المناسبة الشيخ أبو بكر النيسابورى وكان كثير العلم فى الشريعة والأدب " [١] ، ثم ترجم محقق الإتقان للنيسابورى، بأنه الإمام الحافظ : عبد الله بن محمد بن زياد الشافعى المتوفى ٣٢٤هـ .

وشاع هذا النص وذاع، وتناقله من ألف فى علوم القرآن، حتى لفت إلى هذا الخطأ د/ عبد الحكيم الأنيس فى بحث بعنوان:" أضواء على ظهور المناسبات"[٢] ، وبين كيف أخذ السيوطى هذا النص من الزركشى وتصرف فيه تصرفا مخلا ، فأصل النص فى البرهان : "قال الشيخ أبو الحسن الشهرابانى (ت ٦٧٢هـ) : أول من أظهر ببغداد علم المناسبة ولم نكن سمعناه من غيره ـ الشيخ أبو بكر النيسابورى " [٣] .

---

(١) معترك الأقران فى إعجاز القرآن للسيوطى ط: دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م ج١ص٣٤٥ ، والإتقان ج٣ ص٣٢٢ .

(٢) راجع: أضواء على ظهور المناسبات د/ عبد الحكم الأنيس مجلة الأحمدية العدد /١١ جمادى الأول ١٤٢٣هـ دار البحوث للدراسات وإحياء التراث .

(٣) البرهان فى علوم القرآن للزركشى ح١ ص ٦٢ .

فحذف السيوطى اسم أبا الحسن وهو من أبناء القرن السابع ، وحذف ذكر المكان " بغداد" وغير عبارة الزركشى من " أظهر " إلى سبق" ، ثم ترجم المحقق للنيسابورى بأنه ابن زياد الشافعى " المتوفى ٣٢٤هـ ،وترتب على هذا أن أُرِّخَ لظهور علم المناسبة بمطلع القرن الرابع الهجرى على الرغم من أن أبا الحسن الشهرابانى من أبناء القرن السابع،ويتحدث عن سماعه من النيسابورى(١).

ولم يستطع د/ عبد الحكيم أن يصل إلى النيسابورى التي يتحدث عنه أبوالحسن الشهرابانى ، ولكن يكفيه أنه نبه على هذا الخطأ الشائع بين الباحثين ، وفتح الباب أمام غيره من الباحثين للوصول إلى حقيقة المسألة .

(١) أضواء على ظهور المناسبات ص ١٧ ، ص١٨ .

الفصـــــل الأول

" التناسب فى سياق السـورة الداخلي "

المبحث الأول : * بين يدى السورة .

المبحث الثانى : * التناسب بين القسم وموضوع السورة

المبحث الثالث : * التناسب بين المطلع والخاتمة .

المبحث الرابع : * التناسب بين آيات السورة .

" بين يدى السورة "

عُمر العبد هو رأس ماله ، وعبوديته هى وظيفة عمره ، ويُسأل العبد عن عمره كله يوم القيامة ، ويسأل عن شبابه سؤالا خاصـا ، فقـد روى الترمـذى بسنده عن ابن مسعود قال : قـال رسـول الله ــ صـلى الله عليـه وسـلم ــ : " لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن عمره فيم أفناه ، وعن شبابه فيم أبلاه، وماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه ، وماذا عمل فيم علم " (١).

وكل لحظة تمضى من حياة العبد تسقط فيها لبنة من بنـاء عمـره ، ولا يزال فى هدم البناء حتى تأتى لحظة الفناء ، وعندها يلقى الله بما قدم ، والمفلـح من استثمر المهدوم لنعيم يدوم .

ولم يترك الكتاب العزيز شيئا يأخذ بين البشرية وينقذها من السقوط فـى بئر الخسران إلا وضعه بين يديها ، فأنار للخلق الطريق إليه، ودلهم عليه، وخط لهم منهج النجاة من الخسر .

وسورة العصر ــ على وجازتها ــ تجمع مفاهيم القرآن، وأهدافه، وتقدم المنهج الجامع لسعادة الإنسان، ونجاته فى الدنيا والآخرة .

" ففي هذه السورة القصيرة ذات الآيات الثلاث يتمثل منهج كامل للحيـاة البشرية كما يريدها الإسلام ، وتبرز معالم التصور الإيمـانى لحقيقتـه الكبـرى الشاملة فى أوضح وأدق صورة ، إنها تضع الدستور الإسلامى كله فـى كلمـات قصار ، وتصف الأمة المسلمة حقيقتها، ووظيفتها، فى آية واحدة هـى: الآيـة الثالثة من السورة، وهذا أمر الإعجاز الذى لا يقدر عليه إلا الله .

---

(١) سنن الإمام الترمذى حديث رقم (٢٤١٦) .

والحقيقة الضخمة التي تقررها هذه السورة بمجموعها هى هذه : إنه على امتداد الزمان وجميع الأعصار . وامتداد الإنسان فى جميع الأدهار ليس هناك إلا منهج واحد رابح هو ذلك المنهج الذى ترسم السورة حدوده .. ،وكل ما دون ذلك ضياع وخسار [١] .

ويبدو أن هذه المعاني والحقائق التي تحويها سورة العصر كانت سببا فى تعظيم شأنها فى نفوس الصحابة ــ رضوان الله عليه ــ ، فقد كان الرجلان من أصحاب النبي إذا التقيا لم يفترقا حتى يقرأ أحدهما على الآخر سورة العصر ، ثم يسلم أحدهما على الآخر [٢].

واختيار هذه السورة دون غيرها أمر له دلالته ، فلم يكن مجرد تبرك ، وإلا فسورة "الإخلاص" تعدل ثلث القرآن ، وإنما يرجع ذلك إلى ما تضمنته السورة من معانى الكمال، والإكمال العلمى والعملى .

" ذلك أن المراتب أربعة ، باستكمالها يحصل للشخص غاية كماله ، إحداها : معرفة الحق . والثانية : عمله بها ، والثالثة : تعليمه إياها ، والرابعة : صبره على تعلمه والعمل به ، وتعليمه فذكر الله هذه المراتب الأربعة ، فأقسم بالعصر على أن كل أحد فى خسر "إلا الذين آمنوا" وهم الذين عرفوا الحق، وصدقوا به ، فهذه مرتبة ، " وعملوا الصالحات " وهم الذين عملوا بما علموا من الحق ، فهذه أخرى ، " وتواصوا بالحق " وصى بعضهم بعضا تعليما وإرشادا ،

(١) فى ظلال القرآن . سيد قطب ط: دار الشروق الطبعة الخامسة عشرة ١٤٠٨ هـ ــ ١٩٨٨م ج٦ ص ٣٩٦٤ .

(٢) السلسلة الصحيحة للإمام الألبانى ٣٠٧/٦ .

فهذه مرتبة ثالثة ، " وتواصوا بالصبر " صبروا على الحق ،ووصى بعضهم بعضا بالصبر والثبات عليه فهذه مرتبة رابعة [١] .

واللفتة الثانية فى اختيار لحظة الفراق لقراءتها ، وكأن كل واحد منهم يريد أن يكون آخر ما يقرع سمعه لحظة الفراق هو تذكير بمنهج النجاة:" الإيمان ــ العمل الصالح ــ التواصى بالحق ــ التواصى بالصبر " ، ثم لفظ " الوصية " وهو يلائم لحظات الفراق ، وهذا يبين منهج الصحابة فى تدبر القرآن، وفهمهم العميق ، ومبادرتهم إلى التطبيق .

التعريف بالسورة :

سورة العصر : مكية فى قول جماهير العلماء ، وجاء عن قتادة ومقاتل أنها مدنية ، ولم يذكرها السيوطى فى عداد السور المختلف فيها . والأول أرجح .

وذلك لما أخرجه ابن مردوية عن ابن عباس قال : نزلت سورة العصر بمكة ، فالمقام مرجعه الرواية لا الرأى ، فنقل الأكثرين مرجح على انفراده .

كذلك الغالب فى هذه السور القصيرة كالسور التي قبلها ، والتي بعدها أنها مكية ، والحمل على الغالب مرجح مستقل كما تقرر فى الأصول [٢] .

وهى إحدى سور ثلاث هى أقصر سور القرآن عدد آيات وهى:" الكوثر"، "والنصر"، "والعصر" ، ولا توجد سورة فى القرآن بدأت بمثل ما بدأت سورة العصر، ولا ختمت بما ختمت به ، وقد عدت الثالثة عشرة فى ترتيب النزول ، نزلت بعد الشرح ،وقبل العاديات [٣] .

---

(١) مفتاح دار السعادة لابن القيم ط: دار الكتب العلمية بيروت ج١ ص ٥٦ .
(٢) النشر لفوائد سورة العصر للإمام الشوكانى ت / محفوظة شرف الدين ج٣ ص ١٣١٨ .
(٣) التحرير والتنوير لابن عاشور ط : دار سحنون ط / ١٩٩٧م م/١٥ ج/٣. ص ٥٢٧ .

فضل السورة :

صح فى فضلها حديث واثلة بن الأسقع قال : قال رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : " أعطيت مكان التوراة السبع الطوال ، ومكان الزبور المـائين ، ومكان الإنجيل المثانى ، وفضلت بالمفصل " [١] .

والمفصل من مطلع سورة " ق" إلى سورة " الناس" على الصحيح [٢] .

وجاء فى الأثر الذى رواه الطبرانى بسنده : " كان الرجلان من أصـحاب النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ إذا التقيا لم يتفرقا إلا على أن يقرأ أحدهما على الأخر سورة العصر ، ثم يسلم أحدهما على الآخر " [٣]

مقصود السورة :

ذكر الإمام البقاعى أن مقصودها : هو تفضيل نوع الإنسان المخلوق مـن علق ، وبيان خلاصته وعصارته، وهم الحزب الناجى يوم السـؤال عـن زكـاة الأعمال بترك الفانى ، والإقبـال على الباقى ، لأنه خلاصـة الكـون، ولبـاب الوجود ، واسمها " العصر " واضح فى ذلك ، فإن العصر يخلص روح المعصـور ويميز صفاوته .. " [٤] .

---

(١) موسوعة صحيح فضائل سور القرآن محمد رزق طرهونى مكتبة العلم بجدة الطبعة الثانية ١٤١٤هـ ج٢ ص ٣١٩ .

(٢) تفسير ابن كثير ت طه عبد الرءوف سعد ط: مكتبة الإيمان الطبعة الأولـى ١٤١٧هـ ـــ ١٩٩٦م ج٤ ص ٢٥٣ .

(٣) السلسلة الصحيحة للإمام الألبانى ٣٠٧/٦ .

(٤) نظم الدرر للبقاعى ج٨ ص ٥٢١ ، ومصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور للبقـاعى مكتبة المعارف الرياض الطبعة الأولى ج٣ ص٢٤٦ .

وفى النفس شيء من بعض ما ذهب إليه إمامنا البقاعى فى مقصود السورة ، وهو قوله : مقصودها تفضيل نوع الإنسان المخلوق من "علق " فأين دليل التفضيل فى السورة ؟ فالسورة تبدأ بالقسم على أن الإنسان فى خسر أى : فى ضلال ،أو هلكة ، أو عقوبة ، أو فى النار كما ذهب بعض المفسرين ، فهل يعد هذا تفضيلا للإنسان ؟.

أما التفضيل: فهو لأولئك الذين آمنوا ،وعملوا الصالحات، وتواصوا بالحق، وتواصوا بالصبر ، وهذا ليس تفضيلا باعتبار الإنسانية وإنما لتمسكهم بمنهج النجاة من الخسر .

وذهب ابن حَبَنَّكَة إلى أن موضوع السورة هو: بيان قيمة الوقت فى حياة الإنسان الموضوع موضع الامتحان فى ظروف هذه الحياة ، وأن عمره فيها هو رأس ماله ، وأجزاء عمره تنطلق منه إلى غير رجعة ، ولا تعويض زمنى ، فهو خاسر لحظة فى كل لحظة، وساعة فى كل ساعة، باستثناء من يستطيع أن يغتنم فى عمره ما يحقق له تعويضا عند ربه يوم الدين، بأن يؤمن إيمانا صحيحا، ويعمل صالحا ، وبأن يؤدى مع بنى جنسه وظيفة التواصى بالحق، والتواصى بالصبر " [١]

ويبدو أن فكرة الوقت ، وقيمته هى التي تسيطر على فكر ابن حَبَنَّكَة فى تحديد موضوع السورة ، وهذا أمر يحتاج إلى مراجعة .

فالله ــ سبحانه ــ يقسم بالعصر ، وهو وقت " على حقيقة هى : " إن الإنسان لفى خسر * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ... " يقسم بالزمن على

(١) معارج التفكير ودقائق التدبر عبد الرحمن بن حبنكة الميدانى ط: دار القلم الطبعة الأولى ١٤٢٠ هـ ــ ٢٠٠٠ م ج١ ص ٦٠٦ .

عاقبة أعمال المكلفين، لأن الزمن شاهد على أعمالهم ،وأعمال من سبقهم ، وهذا يعنى أن اللفت إلى الحقيقة المقسم عليها هو الأهم .

فالأقرب ــ والله أعلم ــ أن مقصود السورة هو بيان طريق النجاة من الخسر الذى حكم الله به على سائر بنى ادم ، وقد أوجزت السورة معالم هذا المنهج فى أربعة أمور: " آمنوا وعملوا الصالحات ، وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر " .

وكل من سلك منهجا آخر ، أو غفل عنه فقد ضل ، وشقى ، وخاف ، وحزن ، وهو هالك لا محالة ، وهذا المعنى هو موضوع القرآن كله ، لكن السورة قد قررته بإيجاز بليغ وأسلوب جامع متقن [١] .

فسورة العصر سورة جامعة مانعة تستوعب أمر الإنسانية كلها فى ثلاث آيات .

(١) تفسير سورة العصر د/ عبد العزيز عبد الفتاح ، مكتبة الدار ص ١٦ .

" التناسب بين القسم وبين موضوع السورة "

" تمهيـــــد "

القسم فى اللغة طريق من طرق توكيد الكلام ، وإبراز معانيه ومقاصده على النحو الذى يريده المتكلم ، وقد نزل القرآن بلغة العرب ، وإثبات المطالب بالحلف باليمين طريقة مألوفة عندهم .

يقول السيوطى : ــ

فإن قلت : ما معنى القسم منه تعالى ؟ فإن كان لأجل المؤمن فالمؤمن مصدق ، وإن كان لأجل الكافر فلا يفيده .

وأجيب : بأن القرآن نزل بلغة العرب ، ومن عادتها القسم إذا أرادت أن تؤكد أمرا ، قال أبو القاسم القشيرى : ذلك لأن الحُكْم يفصل باثنين : إما بالشهادة، وإما بالقسم ، فذكر تعالى فى كتابه النوعيين حتى لا تبقى له حجة فقال: " شهد الله أن لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط.. " وقال : " قل إى وربى إنه لحق وما أنتم بمعجزين " (١)

وأسلوب القسم واحد من أبرز أساليب البيان القرآنى ، ويحتل القسم بالزمن مكانة متميزة بين الأقسام الاستهلالية ، فقد أقسم رب العزة بالليل ، والفجر ، والنهار ، والضحى ، والعصر ، مستغرقا أجزاء الزمن ومنبها على تفصيلاته .

ومن أمتع ألوان المناسبات تلك التي تجدها حين تلج إلى العلاقة بين المقسم به والمقسم عليه، أو بينه وبين مقصود السورة ، لأنه سبحانه لا يقسم

---

(١) معترك الأقران فى إعجاز القرآن للسيوطى ج١ ص٣٤١ .

بشيء فى موضوع دون غيره إلا لغرض يتعلق بهذا الموضوع، يكون بين المقسم به والمقسم عليه مناسبة وارتباط ، وقد يظهر ذلك جليا ، وقد يكون خفيا ، وهذا فعلا ما تقتضيه الحكمة ، والإعجاز فى القرآن [١] .

يقول د/ محمد أبو شهبة : وفى القرآن توافق عجيب بين المقسم به والمقسم عليه ، قد يخفى على غير ذى العقل الذكى ، والنظر الشفاف، والحس الدقيق ، الذى يحكم على الأشياء بادى الرأى من غير روية وتفكير [٢].

ويرتبط الوقوف على المناسبة بين القسم، وبين مقصود السورة بتحديد دلالة المقسم به "العصر" فهذا اللفظ بقدر ما يحتمل من الدلالات تجد بينه وبين مقصود السورة ألواناً من المناسبات ، ولذا نبدأ أولاً بدلالة مادة " عصر" وورودها فى القرآن .

جاء فى مقاييس اللغة:" العين والصاد والراء" أصول ثلاثة صحيحة **فالأول**: دهر وحين، **والثانى** : ضغط على شئ حتى يتحلب، **والثالث**: تعلق بشئ وامتساك به، فمن الأول: قوله تعالى: " والعصر إن الإنسان لفى خسر "، ومن الثانى : " إنى أرانى أعصر خمراً" والأصل الثالث: العصر : الملجأ ، يقال اعتصر بالمكان أى التجأ إليه .." [٣] .

---

(١) أضواء البيان فى إيضاح القرآن بالقرآن للشنقيطى ط : دار إحياء التراث العربى الطبعة الأولى ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م ج٥ ص ٥٦.

(٢) مقاييس اللغة لابن فارس مادة : (عصر).

(٣) المدخل لدراسة القرآن د / محمد أبو شهبة مكتبة السنة الطبعة الأولى ١٤١٢هـ ـ ص٢٢٣ .

وقد ورد " العصر " فى القرآن على ثلاثة أوجه :

١ــ بمعنى: العصر الذى هو مصدر عصر العنب ونحوه قوله تعالى:" إنى أرانى أعصر خمراً"

٢ــ وبمعنى: النجـــــاة من القحط. " ثم يأتى من بعد ذلك عام فيه يغاث الناس وفيه يعصرون"

٣ــ وبمعنى الدهر، أو صلاة العصر" والعصر إن الإنسان لفى خسر"(١).

فإذا حملنا دلالة "العصر " على المعنى المصدرى : " الضغط على الشئ حتى يتحلب" ظهرت المناسبة فى القسم بالعصر من حيث زمن النزول أولاً ،لأن السورة من أوائل السور نزولاً وهو وقت كانت تعتصر فيه الإنسانية اعتصاراً لاستخراج خلاصتها الذين اختارهم الله لحمل رسالة الإسلام، فهؤلاء هم خلاصة الإنسانية وأشرفها، وبهم ساد الإسلام بقاع الأرض .

واعتصار الأمم لاستخراج خلاصتها سنة من سنن الله الكونية التي تقرؤها فى القرآن، وتراها فى سيرة السابقين. هذا الاعتصار بالتكليف والابتلاء هو الذى يميز بين الخاسر والناجى، ودائماً لا ينجو إلا القليل .تلك سنة الله فى كونه، وسنة القرآن فى بيانه الذى لم يأت على ذكر الكثرة إلا فى سياق الذم:" ولكن أكثر الناس لا يعلمون" "لايؤمنون" ، "لايشكرون"﴿ وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ ﴿١١٦﴾ ﴾(الإنعام/١١٦) .

ولعل هذا هو سر تقديم هذه الحقيقة بعمومها الصادم الذى يقض مضاجع العقلاء.. "إن الإنسان لفى خسر"، ثم استثنى القلة الناجية التي هى

---

(١) بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز ـــ للفيروز آبادى ت/ محمد على النجار . ط/ المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ١٤١٢هـ ــ ١٩٩٢م ج٤ ص ٧١ .

خلاصة الاعتصار" إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصلوا بالصبر" فى تناغم يسير مع مدح القرآن للقلة: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾ (سبأ/ ١٣)، ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ﴿٢٤﴾﴾(ص/ ٢٤) .

وهكذا تبدو المناسبة بين الدلالة المادية للفظ القسم ، وبين مقصود السورة، فالإنسان يعصر ليتميز جوهره من غثائه، والإنسانية تعتصر ليتبين مفلحها من خاسرها ، والعلاقة واضحة كما ترى .

وعلى الرغم من وضوح المناسبة بين القسم بالعصر بدلالته المصدرية، وبين مقصود السورة إلا إن عادة القرآن وطريقته فى القسم تعكر على هذا التوجيه؛ فأقسام القرآن تكون بأسماء الذوات لا بأسماء المعاني، والسبب واضح، فأسماء المعاني باهتة فى الذهن عكس أسماء الذوات، ومن ثم لا تصلح لغرض تقرير المعاني وتأكيدها،.. فليس من عادة القرآن القسم بالمصادر، وإنما يطرد فيه القسم بالذات سواء أكانت من عالم الغيب، أم من عالم الشهادة، وسواء أكانت دلالتها قطعية، أم احتمالية، ثم من عادة القرآن القسم بالزمن بأجزائه من الليل، والنهار والفجر، والضحى، فيكون العصر متسقاً مع هذه المعاني، ويكون مراداً به الذات لا المصدر[1] .

(١) تفسير بيانى لسورة العصر. ابو عبد المعز. بحث منشور بملتقى أهل التفسير ١٤٣٤هـ ـ ٢٠١٣م.

الدلالة الثانية : " العصر " : " الدهر ـ الزمن " .

وهذه الدلالة يرجحها أكثر المفسرين[١] ولكنهم اختلفوا فى حدود الزمن، فمنهم من أطلق الدلالة من كل حد، فالعصر: "الزمن "،ومنهم من قصرها على زمن معين مثل: عصر النبوة "، أو عصر الإسلام ،أو عمر الإنسان فى الحياة.

ومن الذين اختاروا إطلاق الدلالة الإمام الرازى ـ رحمه الله ـ حيث صدر به أقوال المفسرين وساق الحجج التي تؤيد هذا الرأى فقال: ذكروا فى تفسير العصر أقوالاً:

الأول: أنه الدهر . واحتج هذا القائل بوجوه منها:

* ما رُوى أن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أقسم بالدهر.
* أن الدهر مشتمل على الأعاجيب، لأنه يحصل فيه السراء، والضراء، والصحة، والسقم .
* أن الدهر والزمان من جملة أصول النعم فلذلك أقسم به، ونبه على أن الليل والنهار فرصة يضيعها المكلف .
* أنه تعالى ذكر العصر الذى بمضيه ينتقص عمرك، فإذا لم يكن فى مقابلة كسب صار ذلك عين الخسران، ولذلك قال: " فى خسر "[٢].

ويبدو الإمام مشغولاً بترجيح أن العصر بمعنى الدهر، ولم يشغل نفسه كثيراً ببيان المناسبة بين المقسم به والمقسم عليه، بل أخذ يسأل عن سر التعبير

---

(١) انظر: تفسير الطبرى. ج١١ ص ٣٨٦ ط/ دار الفكر بيروت ١٤٠٠هـ ، وتفسير الثعلبى ط/ دار إحياء التراث العربي بيروت. الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ ج١ ص ٢٨٣ ، وتفسير الرازى م١٦ ـ ج٣٢ ص ٨.

(٢) الرازى م/١٦ ج٣٢ ص٨.

"بالعصر" دون "الدهر" ويجيب قائلاً: ولعله تعالى لم يذكر الدهر لعلمه أن الملحد مولع بذكره وتعظيمه[١].

وفى النفس شئ من كلام الإمام ــ رحمه الله ــ ؛ فقد ورد ذكر الدهر فى سورة الإنسان وفى سورة الجاثية، وجاء اللفظ فى سورة الجاثية على لسان الدهريين أنفسهم ﴿نَمُوتُ وَنَحۡيَا وَمَا يُهۡلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهۡرُ﴾ (الجاثية/ ٢٤) ولم يرد ذكر " العصر " فى القرآن إلا فى هذه السورة .

ولعل الأقرب فى سر التعبير " بالعصر " : أن الدهر فى اللغة هو الأمد الممدود يقول الشافعى: ونحن لا نعلم للحين غاية، وكذلك "زمان" ، "ودهر"[٢] ولذا يصعب تقييده فى اللغة، بينما يأتى العصر بمعنى: الدهر، وبمعنى: الليل، والنهار، والعشى، فهو مع اتساع دلالته يمكن تقييده لنقول: "عصر الإسلام" ،"عصر النبوة"، "عصر الإنسان" ، وهو اللفظ الوحيد الذى يشمل المعاني التي ذكرها المفسرون فى معنى "العصر"، مثل عصر الإسلام، أو عصر النبوة ، ولذلك جاء فى السورة غير مقيد بما يشعر ببعض الأوقات دون بعض .

وهو على شموله هذه المعاني كلها، فليس بين هذه المعاني تعارض، لأن أقلها يدخل فى أكثرها، ولا تغنى كلمة أخرى فى الدلالة على هذه المعاني مثل: الدهر أو الزمن، بل لم يرد لفظ الزمن فى القرآن أصلاً.

وفى لفظ العصر ملحظ أخر هو: المعنى الذى يعلق به من دلالته المصدرية " الضغط لاستخراج الخلاصة "، فهذا ملحظ لا وجود له فى لفظ " الدهر "، وهذا كله يجعل لفظ العصر أولى وأمس رحماً بمعنى السورة.

---

(١) السابق الصفحة نفسها

(٢) لسان العرب مادة : " دهر " و مادة " عصر "

أما المناسبة بين القسم ومقصود السورة فواضحة، فالله سبحانه يقسم بالزمن الذى هو وعاء الأعمال على عاقبة هذه الأعمال ، فالقسم به فى غاية التناسب مع الحقيقة المقسم عليها لأنه قسم بالدليل، وهو العصر، لأنه خير شاهد ينطق بخسر الإنسان لبعده عن منهج النجاة .

يقول العلامة الفراهى : " أشهد الله العصر تذكاراً ،لما علموا أن جريان حكم الله على الأمم الخالية حسبما أصلحوا أو أفسدوا فى الأرض، ليعلموا أنهم لا بد مجزيون يوماً، وكذلك أشهد الله على خسارة الإنسان بهذا الزمان وهو راس ماله بطاعته، وهو أسرع شيء زوالاً مع أن الإنسان معتمد عليه ،وغافل عن يوم انتهاء عمره، ولقاء ربه، وجزاء عمله"(١).

ولا ريب أن العبرة لا يأخذها الإنسان من حياته هو إلا بعد مرور زمن، وخوض تجارب، وقد يفوت أوان الاعتبار، ولذا فأقرب العبر سيرة من غبر ، وتدبر الكون المسطور ، والمنظور ، ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ ﴿١١١﴾ ﴾(يوسف/ ١١١).

الدلالة الثالثة : العصر : " عُمر الإنسان " .

وهو محل الكسب والخسران، وهو أمر يخص العبد نفسه من حيث الموعظة والانتفاع .

وقد مال مكمل أضواء البيان إلى هذا المعنى بدليل ما يكتنف السورة من سورة التكاثر قبلها، والهمزة بعدها، إذا الأولى: تذم هذا التلهي والتكاثر بالمال والولد حتى زيارة المقابر، وسورة الهمزة فى المعنى نفسه تقريباً ،فجمع المال

(١) تفسير نظام القرآن وتأويل الفرقان بالفرقان. عبد الحميد الفراهى . مجموعة سور . جمعه: سليمان الفدوى ١٣٠٧هـ ص ٣٨٦ .

وتعداده فى حياة الإنسان، وحياته محدودة، وليس مخلداً فى الدنيا ، كما إن الإيمان وعمل الصالحات مرتبط أيضا بحياة الإنسان(١).

وعلى هذا الوجه الدلالى تبدو المناسبة واضحة كذلك ، لأن عمر الإنسان هو ميدان ربحه وخسارته، وسوق حياته، فجاء القسم بميدان سعى العبد وسوق حياته على خسارته المحققة ما لم يستمسك بمنهج النجاة الذى خطته السورة الكريمة .

وبذا تكون حياة العبد سوقاً قائمة، والسلعة فيها العمل، والعامل هو الإنسان كما قال تعالى:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ١٠ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ١١ ﴾ (الصف/ ١٠ – ١١) .

ويكون قسم الله سبحانه بالعصر على خسارة الإنسان لشدة ما بينهما من ارتباط ؛إذ إن الخسارة التي يحكم بها الإنسان على نفسه نتيجة سوء تصرفه، وبعده عن مولاه إنما يثبتها أو ينفيها عنه واقع أعماله التي تصدر عنه فى هذا الزمن الذى يعيشه، والوقت الذى يحياه، وفى ذلك لفت النظر إلى قيمة الوقت فى حياة الإنسان، وأن الحياة عبارة عن رحلة زمنية يجب الاعتبار بقصرها وملؤها بالصالحات(٢) .

ففي حديث النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ : " الطهور شطر الإيمان، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك أو عليك . كل

(١) أضواء البيان فى إيضاح القرآن بالقرآن. محمد الأمين الشنقيطى ج٦ ص ١٣٧ .
(٢) انظر: تفسير سورة العصر . عبد الرحيم عبد الجليل . بمجلة هدى الإسلام الأردن م/١٩ع/٨ ــ ١٩٧٥م ص ١٣ .

الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها"[١]، وبين السورة والحديث رحم موصولة .

فقد ذكر النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ أن كل الناس يغدو.. والمعنى: أن كل إنسان يسعى بنفسه فمنهم من يبيعها لله ـــ تعالى بطاعته، فيعتقها من العذاب ، ومنهم من يبيعها للشيطان والهوى بإتباعهما فيوبقها أى : يهلكها[٢].

وهذا حكم عام على سائر الناس، لكن المصطفى ـــ صلى الله عليه وسلم ــ قدم "معتق نفسه على موبقها" لأن صدر الحديث ملئ بما يعتق النفس من العذاب .

كذلك نلحظ أن دعائم منهج النجاة الذى خطته سورة العصر ورد ذكرها فى الحديث "الإيمان: "الطهور شطر الإيمان " العمل الصالح" الصلاة نور ، والصدقة برهان.." " الحق ": "والقرآن" حجة لك أو عليك " الصبر: " والصبر ضياء".

فلينظر الإنسان فى أيام عمره التي سرقت منه ليدرك خسرانه المحقق، وأنه كاد يلقى ربه وهو صفر اليدين من كل خير، وحينئذ يدرك أنه كان غافلاً وليس بمغفول عنه.

وبذا صح أن الدنيا سوق ، والسلعة فيها العمل ، والعامل فيها الإنسان، والمعاملة فيه مع الله، فظهرت فيه المناسبة بين المقسم به، والمقسم عليه .

---

(١) أخرجه مسلم ك: الطهارة ب: فضل الوضوء .

(٢) انظر: شرح النووى على صحيح مسلم ط/ دار الخير. دمشق الطبعة الثانية ١٤١٦هـ ــ ١٩٩٦م ج١ ص ٤٥٧ .

الدلالة الرابعة: العصر : "عصر الإسلام" .

وقد بين ابن عاشور المناسبة على هذا الوجه فقال:" ومناسبة القسم بالعصر لغرض السورة على إرادة عصر الإسلام ظاهرة؛ فإنها بينت حال الناس فى عصر الإسلام بين من كفر به، ومن آمن واستوفى حظه من الأعمال التي جاء بها الإسلام ، ويعرف منه حال من أسلموا وكان فى أعمالهم تقصير متفاوت"(١).

ولعلك لحظت أن السورة بينت حال الإنسانية، وخطت لها منهج النجاة مجملاً، ثم فصل هذا المنهج فى كتاب الله تفصيلاً، كما قال ربنا سبحانه:﴿كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١﴾(هود/ ١) وقد ختم الله بكتابه كتب السماء، وبرسوله الرسالات، فجاء القسم إشارة إلى أنه لا نجاة للإنسانية إلا بالمنهج الذى يؤرخ بنزوله لبداية عصر الإسلام .

على أننى لا أميل إلى هذا الرأى ، لأن السورة وإن نزلت على رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ لكنها تقرر حقيقة راسخة منذ كانت على الأرض حياة .

فقد أرسل الله جميع رسله بمنهج النجاة والفلاح، وكان توحيد الله محور الرسالات السماوية قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ۝٢٥﴾ (الأنبياء/ ٢٥) وقال: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ ۝٣٦﴾ (النحل/ ٣٦) .

وعلى الرغم من ذلك فقد سقط أكثر الناس فى بئر الخسر، وقل من نجا منهم، وأكد لنا رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ هذه الحقيقة فقال فى

(١) التحرير والتنوير م١٥ ج٣. ص ٤٢٨ .

الحديث: " عُرضت علىّ الأمم فوجدت النبي ومعه الرهط، والنبي ومعه الرجل والرجلان، والنبي وليس معه أحد..." (١) .

الدلالة الخامسة: العصر " عصر النبي " .

قال صاحب بيان المعاني: أقسم ــ جل قسمه ــ بزمان رسوله، كما أقسم بمكانه فى سورة التين تنبيهاً على أن زمنه أفضل الأزمنة، ومكانه أشرف الأمكنة(٢).

وهذا بيان لسر القسم بزمن النبي ، وليس بيانا للمناسبة بين القسم ومقصود السورة، ولعل القسم بعمر النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ وعصره على خسر الإنسان الذى يضيع عمره بعيداً عن منهج النجاة يشير إلى ضرورة مراجعة عمر رسول الله وسيرته التي فصل وبين فيها منهج الفلاح، لأنه القدوة فى استثمار العمر، فما ضاعت من حياته ساعة بعيداً عن مراد ربه .

فعمره ــ صلى الله عليه وسلم ــ أشرف الأعمار، وأعظمها أثراً على الإنسانية ، نزل فى هذا العمر أعظم كتاب عرفته الإنسانية ، وذاقت الأمة فى حياته معنى العزة، والكرامة ، والقوة والإيمان، والحياة الفاضلة التي يحلم بها الفلاسفة إلى الآن.

فالسورة من هذا الوجه قسم بعصر المثال والقدوة فى استثمار العمر على خسر الإنسان الذى يغفل عن الاقتداء بمن بين بقوله، وعمله، منهج النجاة الذى أجملته سورة العصر .

---

(١) الحديث أخرجه مسلم فى ك: الرقاق ب : لا يرقون ولا يسترقون ولا يتطيرون .. " .

(٢) بيان معاني القرآن : عبد القادر ملا حويش مطبعة الترقي دمشق الطبعة الأولى ١٣٨٢هـ ــ ١٩٦٥ م ج١ ص ١٦٣ .

وفى هذا الوجه لون آخر من التناسب وهو أن بعثة النبي ـــ صلى الله عليه وسلم ـ كانت فى آخر الزمان ، فكأن ما بين النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ إلى قيام الساعة كما بين العصر وغروب الشمس .

وفيه إشارة إلى ضرورة استنقاذ نفسك بمنهج صاحب الرسالة قبل غروب شمسك، أو شمس الإنسانية ، فقد قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ :" بعثت والساعة كهاتين وأشار بإصبعيه السبابة والتي تليها.. "(١).

الدلالة السادسة : العصر " أحد طرفى النهار " .

وقد ذكره الإمام الرازى ثم قال : والسبب فيه وجوه منها :

= أنه أقسم بالعصر كما أقسم بالضحى لما فيهما جميعاً من دلائل القدرة، فإن كل بكرة كأنها القيامة، يخرجون من القبور، وتصير الأموات أحياء، وكل عشية تشبه تخريب الدنيا بالصعق والموت.

= أنه أقسم بهذا الوقت تنبيها على أن الأسواق قد دنا وقت انقطاعها، والتجارة والكسب فيها.

= أن هذا الوقت معظم والدليل قوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " من حلف بعد العصر كاذباً لا يكلمه الله، ولا ينظر إليه يوم القيامة "(٢).

وهنا يذكر الإمام الرازى أن القسم بالعصر جاء تناسبا مع القسم بالضحى وهو الطرف الأول من النهار ، والعصر الطرف الآخر ، وهما شاهدان على الإنسان بأعماله ، فإذا فات العبد الخير والعمل فى صدر النهار، ولم يلتفت آخره

(١) البخارى ك: الرقاق ب : قول النبى : بعثت والساعة كهاتين .
(٢) الرازى م١٦ ج٣٢ ص ٨١ .

فهو لا محالة خاسر جميع يومه، لأن وقت العصر يؤذن بدنو انقطاع الأسواق ، وانتهاء التجارة .

فالمناسبة فى هذه الدلالة من جهة أن وقت العصر فيه خواتيم الأعمال ، والعبرة بالخواتيم ، وفيه إشارة إلى أنه لم يتبق من عمر الدنيا إلا قليل، وقد دنا وقت غروب شمسها، فعلى الإنسان أن يشتغل بتجارة لا خسران فيها؛ فالوقت قد ضاق ، وقد لا يمكنه تدارك ما فات .

وعادة الناس فى السعى إلى مكاسبهم أن تكون فى الصباح قال النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ : كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها [١] والغدو يكون أول النهار ، ومنهم من يغدو إلى خير ومنهم من يغدو إلى الإثم وقطيعة الرحم ، فقوله : " والعصر " إشارة إلى نهاية المطاف ووقت الحصاد ، وحينئذ يكون الناس فى نهاية أعمالهم [٢] .

ولذلك فالعصر أنسب وقت للقسم والاستدلال، لأنه مدة كافية للاستشهاد على عملك، ولا يجوز أن يقسم هنا بجزء آخر من الزمن، لا يصح القسم بالفجر، لأنه مجرد بداية ولما يبدأ عمله بعد، وكذلك الضحى: مطلع النهار، ولا زال الباب مفتوحا للعمل، والليل: وقت السكون والراحة بعد عمل اليوم، وسبحه الطويل فيه

أما العصر: فقد مضت مدة تكفيه للاستشهاد على عمله، ثم لازالت فرصة سانحة هى بقية النهار، يمكن أن يراجع فيها نفسه ويتوب، ويستنقذ نفسه قبل انقضاء سوق العمل، أو غروب شمس يومه من الدنيا [٣] .

---

(١) الحديث سبق تخريجه ص٢٨ .

(٢) إشراقات قرآنية جزء " عم " د/سلمان العودة . ج٢ ص ٢٤١ طبعة مؤسسة الإسلام اليوم للنشر ، الطبعة الثانية ١٤٣٣هـ .

(٣) سمعت هذا من الدكتور فاضل السامرانى لكنى لم أقف عليه فى أحد كتبه .

الدلالة السابعة : العصر : " صلاة العصر " .

ــ يقول الإمام الرازى : أقسم الله بها لفضلها ، والتكليف فى أدائها أشق، لتهافت الناس فى تجارتهم ومكاسبهم آخر النهار واشتغالهم بمعايشهم ، وصلاة العصر يحصل بها ختام طاعة النهار، فهى كالتوبة يختم بها الأعمال ، فكما تجب الوصية بالتوبة كذلك بصلاة العصر لأن الأمور بخواتيمها ، فأقسم الله بهذه الصلاة تفخيما لشأنها، وزيادة توصية المكلف على أدائها [١]

ويمكن أن تظهر المناسبة إذا جمعنا بين السورة، وبين الأحاديث الواردة فى صلاة العصر فالقسم بالعصر على أن الإنسان فى خسر إلا من استمسك بمنهج النجاة ، والأحاديث الواردة فيها " تبين أن تركها من أفدح ألوان الخسر ، وأن المحافظة عليها باب للجنة ففي الحديث: " الذى تفوته صلاة العصر كأنما وتر أهله وماله ... " [٢] .

وفى الحديث الآخر " من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله ... "[٣].

وأى خسر أشد من حبوط العمل، وضياع الأهل والولد؟ فهذا خسر الدنيا والآخرة .

وفى المقابل يأتى حديث النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ : " من صلى البردين دخل الجنة " [٤] والبردان : الفجر والعصر طرفا النهار، ميدان سوق عمل العبد، فاليوم يبدأ من الفجر ويقارب الانتهاء بوقت العصر المؤذن بقرب الغروب ، ولا تزال الفرصة سانحة لمن أراد النجاة من الخسر .

---

(١) الرازى م١٦ ج١٢ ص ١٨ .

(٢) البخارى ك : الصلاة ب : إثم من ترك العصر .

(٣) البخارى ك : الصلاة ب : إثم من ترك العصر .

(٤) البخارى ك : الصلاة ب : فضل صلاة الفجر .

وبعد استعراض هذه الآراء فى دلالة لفظ " العصر "، وبيان المناسبة بينه وبين مقصود السورة نقول : إن حمل دلالة العصر على معنى الـزمن أو الـدهر أرجح وأبر رحما بالسورة ، لأن الأولى بألفاظ القـرآن أن تُحمـل علـى أوسـع مدلولاتها ، إلا إذا وُجد ما يرجح اختصاصها بغيره .

ثم إنه الأنسب للمقام ، لأن القرآن خطابُ الله للناس كافة ، وما دام كذلك فالمعنى الذى هو أعم مدلولاته ، وأهم فى لفت النظر إلى المقصود، وأوسع دائرة فى نطاق الدعوة والهداية ــ هو أولى من غيره ، ولاشك أن لفـت النظـر إلـى الاعتبار بما يدعو للإيمان الذى هو أساس فى قبول الأعمال والاعتداد بهـا هـو أولى بالتنبيه عليه وتقديمه على غيره [١].

كذلك تجد التناسب واضحاً بين العصر بمعنى الزمن، وبين جميع أجـزاء السورة ، بل تشهد الزمن يسرى فى عروق السورة ويتداخل فى سائر عناصرها وهذا ما يظهر عند الحديث عن سمات السورة الكريمة .

*التناسب بين المطلع والخاتمة *

بدأت السورة الكريمة بالعصر ، وانتهت " بالصبر " .

فالعصر بمفهومه المصدرى يحتاج إلى الصبر، كذلك اعتصار الإنسـانية بالتكاليف والابتلاءات لاستخراج خلاصتها يحتاج إلى الصبر. والصبر هـو رأس الأمر فى كل ما سيق فى السورة، يحتاج العبد الصبر على الإيمان، والصبر على عمل الصالحات، والصبر على الحق، وعلى التواصى به، والصبر على التواصـى بالصبر ، وما وقع العبد فريسة الخسر إلا لعدم صبره على منهج النجاة وسـيره خلف هواه .

---

(١) تفسير سورة العصر ــ عبد الرحيم عبد الجليل ص٩ .

كذلك تظهر المناسبة بين المطلع والخاتمة فى الفاصلة وإنتهائها بحرف الراء " العصر، الصبر" ومن سمات الراء التكرار وهو معنى موجود فى لفظى "العصر" ، و"الصبر" فالعصر ساعات وأيام تمر على الإنسان بصورة متكررة ، وخسره كذلك حقيقة تتكرر مع الأيام والساعات ، إلا من نجاه الله فاستمسك بمنهج الفلاح وهو أمر يحتاج ثباتاً ومداومة على الصبر بأقسامه: صبر على الطاعة، وعن المعصية، وعلى قدر الله ــ سبحانه وتعالى ــ .

وهذا كله مرتبط بمدى قربك، واعتمادك على من أقسم بالعصر" إن الإنسان لفى خسر" قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾(السجدة/ ٢٤) ، وقال﴿ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴾(الفرقان/٣١).

التناسب بين آيات السورة

تقرأ السورة فتجدها جملة واحدة لا يتم المعنى إلا عند آخر كلمة فيها، فقد تضمنت السورة حكماً، ومحكوماً عليه، ومحكوماً به، فالحكم هو: ما حكم الله به على الإنسان من الخسر، والمحكوم عليه هو: الإنسان ، والمحكوم به هو: الخسران لمن لم يؤمن ويعمل صالحاً ، والنجاة والربح للذين آمنوا ،وعملوا الصالحات ،وتواصوا بالحق، وتواصوا بالصبر .

وحين تنظر إلى اتساق المعاني داخل السورة تجدها ملتحمة كما تلتحم الأعضاء فى جسم الإنسان، فتجد البداية بالقسم بالزمن الذى هو وعاء الأعمال، والشاهد على الإنسان بالخسر، بل نلحظ علة الحكم على الإنسان بالخسر فى لفظ الإنسان نفسه ، فهو مشتق من " أنس "، أو " نسى" .

وعلى كلا الاعتبارين فى الاشتقاق يحمل معنى خسره، فالإنسان الذى يستجيب للهو المفضى إلى الهلاك خاسر ، وهى الدلالة المستكنة فى الجذر: " أنس "، وهو نفسه الإنسان الذى نسى عهد الله وتركه وراء ظهره(١).

فتجريد الإنسان المحكوم عليه بالخسر من كل وصف يشعر بأن علة الخسر هى الإنسانية نفسها، عكس النجاة، فقد تعلقت بعمل خارج عن جوهر الإنسانية ، "إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات..." فكأن الخسارة هى الأصل(٢).

وبعد هذا الحكم القاطع بخسر الإنسان، عادت السورة ففتحت باب الأمل والنجاة، بشروط جاءت غاية الدقة فى تريبها، فبدأت "بالإيمان " لأنه الأصل ، وهو المحور الذى تشد إليه كل خيوط الحياة، ولا يقبل عمل بدونه، ثم يأتى "العمل" شاهداً على الإيمان، وبرهانا على صدقه، والعمل من غير إيمان خسر ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾(الفرقان/٢٣) وكذلك الإيمان من غير عمل خسر، ولذلك يقترن الإيمان بالعمل الصالح فى آيات القرآن .

وهذان الشرطان " الإيمان، والعمل الصالح " يكمل بها العبد نفسه لينقذها من النار، وتأتى بعد ذلك مرتبة التواصى بالحق ، ثم التواصى بالصبر، والتواصى يعنى ابتداء أنهم من أهل الحق والصبر، لأن التواصى بشيء من غير أن يكونوا من أهله عيب، وذم ، والسياق هنا للمدح، والتواصى بالحق والصبر إكمال للغير، وهما داخلان فى معنى الإيمان والعمل الصالح، ومادمت سلكت طريق الحق، ودعوت الناس إليه فلابد من التعرض للأذى ، وهو ما يحتاج إلى الصبر،

---

(١) انظر: الطريق إلى نجاة العالم" تأملات فى سورة العصر . مقال للدكتور/ خالد فهمى . مجلة الوعى الإسلامي وزارة الأوقاف الكويتية عدد ٦٠٤ سنة ٢٠١٠م .

(٢) راجع تفسير بياني لسورة العصر . أبو عبد المعز .

وهكذا قال لقمان لابنه: ﴿ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ ﴿١٧﴾ ﴾ (لقمان/ ١٧).

وتلحظ كذلك أنه لا يمكن أن يستغنى بأحدها عن الآخر، فالتواصى بالحق وحده دون التواصى بالصبر عليه لا يكفى، فقد يقف الإنسان على الحق، ولكنه لا يصبر عليه ، والتواصى بالصبر وحده لا يكفى ، فقد تواصى أهل الباطل بالثبات على باطلهم﴿ وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ ﴿٦﴾ ﴾ (ص/ ٦) .

وهكذا إيمان ، وعمل صالح لتكميل نفسه، وتواص بالحق ، وتواص بالصبر لإكمال غيره ، والنجاة من الخسر مرهونة بهذه الشروط التي يُسْلم كل واحد منها إلى الآخر فى ترتيب دقيق وتناسب معجز .

الفصـل الثانـــي

التناسب في سياق السورة الخارجي

- المبحث الأول : السورة في سياقها المصحفي .
- المبحث الثاني : السورة في سياقها التنزيلى.
- المبحث الثالث: السورة ومحـورها القرآني .
- المبحث الرابع: السورة بين السور التي افتتحت بالقسم بالزمان
- المبحث الخامس: بين سورة العصر وسورة التين .

السورة في سياقها المصحفي

أولاً : بين " العصر" و " التكاثر "

حين تقرأ السورتين قراءة متأنية تبهرك ألوان التناسب ووشائج القربى بين معانيها، وقد وقفت على ألوان التناسب بين السورتين أذكر منها:

١ــ تقرأ السورتين فتجد كل سورة تقع موقع العلة من أختها وتبين سراً فيها، تبدأ التكاثر حديثها بالتهاء الخلق بالتكاثر حتى الموت، ثم تأتى سورة العصر لتبين أن هذا حال أكثر الناس، يميلون إلى الخسر ويؤثرون الفانى فهذه الآية " إن الإنسان لفى خسر " تعليل لألهاكم التكاثر.

ثم تعود مرة أخرى إلى التكاثر لتجد واحداً من أهم أسباب الخسر وهو "الجهل" الذى أشارت إليه السورة حين قالت: " كلا سوف تعلمون* ثم كلا سوف تعلمون* كلا لو تعلمون" فجهله هو الذى صده عن السبيل، فأوقعه في الخسر، وجعله ملهياً بالتكاثر: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾ (الأحزاب/٧٢).

وهكذا تأخذك السورتان مرة بعد أخرى لتجد فى كل سورة ما يفسر سراً فى أختها، ثم تعيدك إليها مرة أخرى.

يقول الغرناطى : " لما قال الله:" ألهاكم التكاثر" وتضمن ذلك الإشارة إلى قصر نظر الإنسان، وحصر إدراكه فى العاجل دون الآجل الذى فيه فوزه وفلاحه، وذلك لبعده عن العلم بموجب الطبع: " إنه كان ظلوماً جهولاً "أخبر سبحانه أن ذلك شأنه بما هو إنسان فقال: " والعصر إن الإنسان لفى خسر "القصور شأنه، والظلم طبعه ، والجهل جبلته، فحق له أن يلهيه التكاثر"[١].

---

(١) نظم الدرر للإمام البقاعى. ج٨ ص ٥٢٣ .

٢ــ ختمت سورة التكاثر بقوله تعالى: "ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم"، وافتتحت سورة العصر بالقسم "بالعصر"، والتعريف فى لفظ" النعيم" يفيد العموم، فصور النعيم كثيرة وهو ما يجعل الإنسان يغفل ويلهو، "والعصر" الزمن وهو ممتد يشمل حياة الإنسان كلها ،فهو وعاء هذا النعيم الذى يتلهى به الإنسان .

ثم هو شاهد على هذا الإنسان، وشاهد على انشغاله عن الله حتى باغته الموت، وكأن السورة تلفتنا إلى أنك مسؤول عن النعيم الذى ألهاك عن الله، وعصرك الذى ملأته بالتلهى والانشغال شاهد عليك عند السؤال أمام الله .

٣ــ سورة العصر هى طوق النجاة من رؤية الجحيم والسؤال عن النعيم .

فقد ختمت التكاثر بالوعيد الشديد لأولئك الذين ألهاهم التكاثر حتى باغتهم الموت، ثم جاءت سورة العصر لتقول: إن جنس الإنسان فى خسر إلا من أتصف بصفات أربع وهى بذلك تضع طوق النجاة بين يدى من ألهاهم التكاثر(١).

٤ــ التكاثر مثال للخسر. سورة العصر سابقة فى النزول ، وقد ذكرت حكماً: "إن الإنسان لفى خسر" هكذا على العموم ، وسورة التكاثر مثال من أمثلة كثيرة للخسر، هو مثال يحدثنا عمن ألهاه التكاثر حتى زار المقابر، كما نلحظ تناسبا فى العموم والإبهام بين لفظى" التكاثر" و" الخسر" ، فالتكاثر يكون بالمال، والولد، والأهل، والجاه، والسلطان ، وكل من ألهاه التكاثر عن الله فهو فى الخسر لا محالة .

ونلفت إلى فارق فى البناء الأسلوبى للسورتين، فقد بنيت سورة التكاثر على أسلوب الخطاب " ألهاكم ــ زرتم ــ تعلمون ــ لترون ، لترونها ــ لتسئلن "

(١) الأساس فى التفسير ــ سعيد حوى ط/ دار السلام الطبعة السادسة ١٤٢٤هـ ــ ٢٠٠٣م ج١١ ص ٦٦٦٨ .

بينما جاءت سورة العصر تتحدث عن الإنسان ، وعن "الذين آمنوا وعملوا الصالحات" وهو أسلوب الحديث عن غائب .

ــ ولعل ذلك ــ والله أعلم ــ لأنه فى سورة التكاثر يخاطب مثالاً من أمثلة كثيرة للخاسرين ، أما سورة العصر فهى تقرر حقيقة كبرى، وترسخ حكما عاماً على الإنسانية كلها ، فالأنسب ألا يكون خطاب حتى لا يقع فى وهم أحد أن الحكم يتعلق بمخاطب ، أو فئة بعينها.

٥ــ ذكرت سورة التكاثر الأمر الذى ألهى الناس" التكاثر، ولم تذكر المهلى عنه صراحة، وإنما ساقته فى جملة حقائق تضمنتها السورة " الموت ــ القبر ــ الجحيم ، الحساب " ويمكن أن يكون الملهى عنه هو طريق النجاة الذى خطته سورة العصر، فسلوك هذا السبيل هو الذى يكفيه مؤنة القبر، والحساب يوم القيامة.

ثانياً : بين العصر والهُمزَة

ذكر الإمام البقاعى " أن مقصود سورة الهمزة هو بيان الحزب الخاسر الذى ألهاه التكاثر، وأنه لما بين الناحين من قسمى الإنسان فى "العصر" ــ وختم "بالصبر" ــ حصل تمام التشويق إلى أوصاف الهالكين، فقال مبينا لأضلهم وأشقاهم الذى الصبر على أذاه فى غاية الشدة، ليكون ما أعده له من العذاب مسلاة للصابر[١] .

وفى النفس شىء من كلام الإمام ــ رحمه الله ــ ؛ فهذا ليس بيانا للحزب الخاسر الذى ألهاه التكاثر، وإنما هم صنف منهم، فالسورة تتحدث عن الهمزة اللمزة الذى جمع مالاً وعدده، والتكاثر أعم من المال، ثم إن الذى جمع مالاً

(١) نظم الدرر للإمام البقاعى ج -٨ ص ٥٢٥ .

وعدده ليس أضلهم وأشقاهم، فأين هو ممن كفر بالله ورسوله ؟ وليس بعد الكفر ذنب. ولذا فالأنسب أن نقول: إن هذا مثال للخاسرين يتناسب مع قوله تعالى: " ألهاكم التكاثر " ، وهو واحد من ألوان الخسر الذى جاء مبهماً فى سورة العصر.

وكان الإمام الغرناطى أبصر بهذا المعنى حين قال: لما قال سبحانه: "إن الإنسان لفى خسر" تبعه بمثال، وذكر نقصه، واغتراره وظنه الكمال لنفسه حتى يعيب غيره، واعتماده على ما جمعه من المال ظنا منه أنه يخلده وينجيه، وهذا كله عين النقص الذى هو شأن الإنسان، وهو المذكور فى السورة قبل(١).

لذلك تقع سورة العصر طوق نجاة بين خُسْرَيْن، فالسورة السابقة تتحدث عن أهل النعيم الذين ألهاهم التكاثر، وتذكر غفلتهم، وسوء عاقبتهم، والسورة التالية تأتى فى عقاب الهمزة اللمزة الذى ألهاه التكاثر بالمال حتى نبذ فى الحطمة، وتأتى بينهما سورة العصر منبهة على خسر عملهم ،وضلال سعيهم، وتضع بين أيديهم طوق النجاة، وسبيل الفلاح لكل من تأخذه نفسه إلى الخسر، وتجعله يؤثر الفانى على الباقى .

ومن بديع التناسب أن تجد فى غالب السور التي تلت سورة العصر نماذج لألوان الخسر الذى حكم الله به على الإنسان ، تنتقل من الهُمَزَةِ ، إلى أصحاب الفيل الذين كانوا أكثر قوة ومالاً، وأهلكهم الله بأصغر الطير وأضعفه، ثم قريش الذين أطعمهم الله من جوع وآمنهم من خوف، لكنهم كفروا بأنعم الله، وشاقوا الله ورسوله، ثم الذى يكذب بيوم الدين، ولا يحض على طعام المسكين، والذين هم عن صلاتهم ساهون، وفى أعمالهم يراءون، ثم الأبتر الذى سب رسول الله وقال:

---

(١) السابق . الصفحة نفسها .

بُتِـر محمد ، ثم أبى لهب، وزوجه حمالة الحطب ، ثم النفاثات فى العقد ،والحاسد إذا حسد، ثم الوسواس الخناس من الجنة والناس .

وبين نماذج الخسر تنبعث بوارق أمل تنير الطريق، وتأخذ بيد العبد إلـى النور ، مثل سورة النصر ، وسورة الإخلاص، تفتح سورة النصر بـاب التوبـة والاستغفار من كل خسر" فسبح بحمد ربك واستغفره إنه كـان توابـاً"، وعنـدها يرجع العبد إلى باب الواحد الأحد الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن لـه كفوا أحد، وهو باب الصراط المستقيم الذى رسمته سورة العصر.

وبوراق الأمل أقل عدداً من نماذج الخسر التي جاءت فى هـذه السـور، وهذا أيضاً يتناسب مع كثرة الخاسرين، وقلة الناجين ،وهى الحقيقة التي قررتها سورة العصر.

ثالثاً : السـورة فى سياق أوسـع

حين تحدث الإمام السيوطى ــ رحمه الله ــ عن سورة التكاثر قال: هـذه السورة واقعة موقع العلة لخاتمة ما قبلها ، كأنه لما قال هناك" فأمه هاوية" قيل: لم ذلك ؟ فقال: لأنه "ألهاكم التكاثر" فاشتغلتم وملأتم مـوازينكم بالحطـام فخفـت موازينكم بالآثام ، ولهذا عقبها بسورة العصر المشتملة على إن الإنسان فى خسر لبيان خسارة تجارة الدنيا ،وربح الآخرة، ولهذا عقبها بسورة الهمـزة المتوعـد فيها من جمع مالاً وعدده يحسب أن ماله أخلده، فانظر إلى تلاؤم هـذه السـور الأربع وحسن اتساقها(١).

(١) تناسق الدرر فى تناسب السورة. للسيوطى . ت: عبد القادر عطا ط/ دار الكتـب العلميـة الطبعة: الأولى ١٤٠٦هـ ــ ١٩٨٦م ص ٤ .

والواقع: إننا حين نراجع السياق السابق واللاحق لسورة العصر نجد ألواناً من التلاحم والتلاؤم، ونجد المعنى ينتقل من سورة إلى أخرى، فيضيف إليها، وتضيف إليه، ثم تأخذك السورة إلى أختها فى تناسب دقيق .

ولنبدأ بسورة البينة مثلاً لنجد فيها حديثاً عن مصير الكفار ومصير المؤمنين :﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾ ﴾ (البينة: ٦ – ٨) .

ثم تليها الزلزلة : تبين توقيت هذا المصير ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْاْ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ ﴾ ، وتأتى بعدها سورة العاديات فتذكر جانبا من أثقال الأرض التي تخرج " إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ "، ثم حصاد عمله الذى يراه " وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ" ثم تختم بقوله: " إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ" لتأتى سورة القارعة فتفصل فى ذكر هذا اليوم ، وبيان حال الناس حين يصدرون أشتاتا ليروا أعمالهم " يوم يكون الناس كالفراش المبثوث "، وتذكر الصنفين الذين ذكرتهما البينة والزلزلة : الناجى والخاسر " إن الذين كفروا .. " إن الذين آمنوا " فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره" ، "فأما من ثقلت موازينه: وأما من خفت موازينه فأمه هاوية" لتأتى سورة التكاثر تعليلا لهذا المصير ، ثم تأتى سورة العصر لتقرر أن هذا المصير هو نهاية أغلب الإنسانية ، وأنه لاينجو إلا القليل ، ثم تتابعت السور بعد سورة العصر تقدم نماذج للخسر الذى حكم الله به على الإنسانية فى سورة العصر .

ثـــم إنك واجد فى غالب سور السياق المحيط بالسورة الكريمة محـاور رئيسية تتحدث عنها وهى " الإنسان ، والبعث ، والحسـاب والجـزاء"، وراجـع سياق السور ترى ذلك واضحاً.

ونلحـظ فى السياق المحيط بالسورة أنه لم يذكر منهج النجاة من الخسر كاملاً إلا فى سورة العصر، بينما ذكرت فى بعض السور بعض أسـباب النجـاة ، كالإيمان والعمل الصالح فى سورة البينة، وفعل الخير فى سورة الزلزلة ، لتظـل سورة العصر محور هذا السياق المحيط بها لأنها خطت المنهج الذى يثقل ميزان العبد ، ويصرف وجهه عن الحطمة ،ويجعله مطمئن القلب حين تبعثـر القبـور، ويحصل الله ما فى الصدور ويأخذه إيمانه، وعمله لجنات عدن تجرى من تحتهـا الأنهار.

ونلحـظ كذلك التناسب والدقة فى ترتيب الأحداث فى الواقع وفق سـياق ترتيب السور تدبر "وأخرجت الأرض أثقالها " " أفلا يعلم إذا بعثر ما فى القبور " " يوم يكون الناس كالفراش المبثوث " " لترون الجحيم " " كلا لينبذن فى الحطمة " وهو ترتيب غاية الروعة والتناسب يسير فى حركة طبيعية حسب المراحل " بعث، رؤية ، ثم استقرار فى المصير الأخير.

السـورة فى سياقها التنزيلـى:

نزلت سورة العصر بعد سـورة الشرح ، وقبل سورة العاديات .

والتناسب بين السور فى سياقها التنزيلى من الأبواب التي لم يولها علماء التناسب اهتماماً، على خلاف ما فعلوا فى ترتيبها فى المصحف.

وإن كان من فسَّر القرآن على ترتيب النزول مثل : ابن حبنكة فى تفسيره "معارج التفكر" ومحمد عزة دروزة فى كتابة :" التفسير الحديث " ــ قد تعرضـوا

لهذه المناسبات، لكنه باب يحتاج إلى دراسة مستقلة تفرغ لـه ، وتعكف على بيانه، على نحو ما فعل السيوطى فى كتابه " تناسق الدرر فى تناسب السور" .

ونبـــــدأ فى بيان مناسبات السورة فى سياقها التنزيلى:

أولاً : بين العصر والشرح .

يظهر التناسب بين السورتين من وجوه كثيرة منها :

١ــ أن سورة الشرح تشرح الطريق لرسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ وهو القدوة العليا "فإذا فرغت فانصب وإلى ربك فارغب "، تقول له: إذا فرغت من عمل صالح فعليك أن تجتهد فى مزاولة عمل آخر ، " فإذا فرغت فانصب " فهذا هو طريق الفلاح وأن تقصد بهذا العمل وجه ربك لا غير: " وإلى ربك فارغب"(١).

ثم تأتى بعدها سورة العصر فتخط منهج النجاة من الخسر لكل إنسان وهو: الإيمان، والعمل الصالح ،والتواص بالحق، والتواص بالصبر.

والخطاب وإن كان موجها للنبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ فى سورة الشرح، لكنه خطاب لكل مؤمن، ليقوم بواجبه متبعا منهج قدوته المصطفى ــ صلى الله عليه وسلم ــ ،فالخطاب موجه لكل عبد " فإذا فرغت فانصب وإلى ربك فارغب "، ثم تأتى سورة العصر متحدثة عن الذين آمنوا وعملوا الصالحات ..." فى إشارة إلى أن هذا المنهج قد أمر به قدوة الأمة فى السورة السابقة

ثم إن التعبير بصيغة المخاطب المفرد "فإذا فرغت .وإلى ربك " فى سورة الشرح ثم الحديث بصيغة الجمع فى سورة العصر " آمنوا ، عملوا ، تواصوا " يشير إلى أن وجوده بين إخوانه المؤمنين يعينه ، ويهون عليه هذا

(١) الأساس فى التفسير سعيد حوى . ج١١ ص ٦٥٧٧ .

النصب، لأنهم يوصونه، ويوصيهم بالثبات على منهج قدوتهم ــ صلى الله عليه وسلم ــ .

٢ــ ومن وجوه التناسب كذلك أن الله ــ سبحانه ــ ختم سورة الشرح بقوله لرسول الله: " فإذا فرغت فانصب وإلى ربك فارغب . ثم بدأ بالقسم " والعصر " والعصر هو زمن العمل والنصب والرغبة إلى الله ، وبغير العمل، والرغبة إلى الله أنت فى خسر، والشاهد العصر الناطق بالحق .

٣ــ كذلك تجد سورة العصر تفسر، وتفصل فى خاتمة سورة الشرح. تجد" عملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر" تفصيلاً لقوله: " فانصب "، و" آمنوا " أعم وأوسع من قوله: " وإلى ربك فارغب" إذ يدخل فيها الإيمان بالله، وملائكته ، وكتبه ،ورسله ،واليوم الآخر، والقدر خيره وشره.

وقدم العمل على الإخلاص فى سورة الشرح، بينما قدم الإيمان على العمل فى سورة العصر، لأن سورة العصر تضع منهجا للإنسانية كلها ، ولا يقبل العمل من غير إيمان، أما سورة الشرح فقد بدأت بأن الله شرح صدر نبيه ، ورفع ذكره، ووضع وزره ، ثم خوطب بختام السورة، وهو المعصوم من أن يقصد بعمله غير وجه ربه .

٤ ــ ومن المناسبات أيضاً أن الله ــ سبحانه ــ حين بين منهج النجاة فى سورة العصر بقوله: "إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات . وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر" جاءت الأفعال فيها مسندة للمؤمنين ، فناسب أن يأتى قبلها التذكير بأن هذا محض فضل الله على عباده ،وعلى رأسهم قدوتهم ــ صلى الله عليه وسلم ــ، حتى يظل العبد على ذكر وشكر لمن هداه إلى سبيل النجاة ،وهى كقوله تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ ﴿٢٢﴾﴾ (الزمر/٢٢)،

وقوله تعالى :﴿ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ ﴾ (الحجرات /١٧).

ثانيا: بين العصر والعاديات .

أقسم ربنا ــ سبحانه ــ فى سورة العاديات على أحوال الإنسان فقال ﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾ ﴾ (العاديات/ ٦ – ٨)، فوصفه سبحانه بكفران نعم ربه، وبخله بما أتاه الله من الخير ، فلا هو شكور للمنعم، ولا هو محسن إلى خلقه ، بل بخيل بشكره ، بخيل بماله .

ثم خوف الله هذا الإنسان حين يبعثر ما فى القبور، ويحصل ما فى الصدور، وجمع الله بين القبور والصدور لأن الإنسان يوارى صدره ما فيه من الخير والشر، ويوارى قبره جسمه ، فيخرج الله جسمه من قبره ، وسره من صدره [١] .

فكلتا السورتين قسم على أحوال الإنسان، وجاءت سورة العاديات ،فقدمت نموذجاً من نماذج خسر الإنسان ،موضحة بعض أسباب خسرانه، فقد ذم الله فيها خصالاً تفضى بصاحبها إلى الخسر فى الآخرة ،من جحود النعم ، وبخل لحب المال، وإهمال الاستعداد ليوم القيامة.

فسورة العصر قسم على خسران الإنسان ، وسورة العاديات قسم على خصال تفضى به إلى الخسران ، فهى أخص من حيث المعنى .

(١) انظر التبيان فى أقسام القرآن . لابن القيم ط/ دار الإيمان ٢٠٠٢م ص٨٠ ــ ٨٢ .

كذلك بداية السورة بالقسم بالعاديات ، وهى : خيل الجهاد تضعنا فى موازنة بين الخيل وهى تجاهد فى سبيل الله بفرسانها، وبين الإنسان الذى كفر بنعمة ربه ، وألهاه المال عن الآخرة فسقط فى بئر الخسر .

ثم ختام السورة يذكر الإنسان بأمر الآخرة "أفلا يعلم إذا بعثر ما فى القبور . وحصل ما فى الصدور". هذا داخل فى قوله تعالى " أمنوا " فى سورة العصر . فالإيمان بالبعث والحساب من مفردات " الإيمان " وهو من أعظم دوافع " العمل " الذى اقترن بالإيمان فى سورة العصر "آمنوا وعملوا الصالحات" فحين يستحضر الإنسان البعث وتحصيل مافى صدره يدفعه هذا لسلوك سبيل النجاة والهروب من كل خسر .

أما نسيان البعث والحساب فهو الذى يسقط العبد فى بئر الخسران، ولذا ذكره الله ــ سبحانه ــ قبل التكذيب بآياته حين تحدث عن سبب عذاب الكفار فى سورة النبأ فقال: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ ﴾(النبأ /٢٧ – ٢٨) .

فلو أنهم آمنوا بالحساب لاستعدوا له ، ﴿ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ ﴿١١﴾ ﴾ (العاديات/ ٩ – ١١) .

السورة والمحور القرآني :

تتلخص فكرة المحور القرآنى فى اشتمال القرآن على نظرية كاملة فى الوحدة الموضوعية تشمل جميع سور القرآن ، وهى قائمة على اعتبار سورة البقرة تفصيلاً لما أجمل فى سورة الفاتحة من معان ومقاصد، وأن السور التالية لسورة البقرة تفصل فى محاور ومعان ومقاصد وردت فى سورة البقرة، ولكل سورة وحدتها الموضوعية ، ومحورها الذى تفصل فيه فى سورة البقرة[١].

(١) راجع مقدمة تفسير الأساس لسعيد حوى.

ولذلك سنقف هنا على المناسبة بين سورة العصر والفاتحة، ثم بين العصر وسورة البقرة لبيان المحور الذى تفصل فيه سورة العصر .

أولا : بين العصر وفاتحة الكتاب .

تسبق الفاتحة سورة العصر فى النزول، وهما متقاربتان، وفى سورة الفاتحة يتوجه العباد إلى الله بالدعاء:" اهدنا الصراط المستقيم " ، " والصراط المستقيم: هو دين الله الذى لا يقبل من العباد غيره"(١).

وعلى ذلك تكون الآية الثالثة من سورة العصر هى التطبيق العملي للصراط المستقيم ، وكأن العباد حين دعوا ربهم وطلبوا منه الهداية إلى الصراط المستقيم جاءت سورة العصر فخطت هذا الصراط ببيان صفات أهله الذين أكملوا أنفسهم بالإيمان، والعمل الصالح، وأكملوا غيرهم بالتواصى بالحق والصبر .

والمناسبة الثانية بين السورتين : أن الفاتحة قد شملت أصنافاً من الناس، فذكرت الذين أنعم الله عليهم، وهؤلاء هم الناجون من الخسر، وقد بينهم ربنا فى قوله: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩﴾ (النساء/ ٦٩)، وهؤلاء الناجون قلة إذا قورنوا باليهود، والنصارى، ومن دار فى فلكهم : "غير المغضوب عليهم ولا الضالين ".

وهذه القلة فى جانب الذين أنعم الله عليهم مقارنة بالصنفين الآخرين يناسب التعميم فى الحكم بالخسر على جميع الناس، ثم الاستثناء الذى يخرج طائفة من هذا العموم" إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر".

---

(١) تفسير الإمام القرطبى ط/ دار الحديث . ١٤٢٨هـ ــ ٢٠٠٧م . ج١ ص ١٤٨ .

ثانيا: بين العصر وسورة البقرة .

تتحدث الآيات الأولى فى سورة البقرة عن المفلحين، وتتحدث سورة العصر أيضا عن المفلحين، ولكن بتفصيل جديد، إذ تبدأ بالقسم على أن جنس الإنسان فى خسر إلا من اتصف بصفات أربع : "الإيمان، والعمل الصالح، والتواصى بالحق ، والتواصى بالصبر"، فهى تفصيل للتقوى ،ولأخلاق المتقين الذين وصفهم الله عز وجل بالفلاح فى مطلع سورة البقرة [١].

وهناك مناسبات أخرى بين السورتين منها :ـ

١ـ بدأ مطلع البقرة بقوله ـ سبحانه ـ:" الم* ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين"، ثم ذكر بعض صفات المتقين، وجاء الحكم عليهم فى نهاية المقطع: "أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون".

بينما ذكر الله ـ سبحانه ـ فى سورة العصر:" الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر " دون ذكر مصيرهم ،أو الحكم عليهم، إنما فهم ذلك من استثنائهم من الحكم بالخسر على الإنسان، فصار المعنى: إلا هؤلاء فهم الناجون المفلحون .

فإذا كان الفلاح قد حذف فى سورة العصر، فإنه مذكور فى صدر أول سورة تنزل بالمدينة لبشارة من عصروا فى مكة ،وامتحنت قلوبهم للتقوى .

٢ـ "ومن التناسب كذلك . أن سورة البقرة قد قسمت الناس ثلاثة أصناف : "مؤمن وكافر، ومنافق "، وبدأت بالحديث عن المؤمنين ، وهذا التفصيل مجمل فى سورة العصر: " إن الإنسان لفى خسر" ،وقد فصلت سورة العصر مع طائفة المؤمنين الناجين، وهم من بدأت سورة البقرة بالحديث عنهم.

---

(١) الأساس فى التفسير سعيد حوى ج١١ ص ٦٦٦٨ .

٣ــ كذلك هذه الصفات الكثيرة التي ذكرها الله للمتقين فى مطلع البقرة، مجملة كلها فى جملة "آمنوا وعملوا الصالحات" فى سورة العصر .

فإذا كانت سورة العصر قد فصلت فى بعض صفات المتقين فى مطلع البقرة، فإن مطلع السورة قد فصل كثيراً من مجمل سورة "العصر"، فبين أصناف الإنسان ، وفصل فى معنى "آمنوا وعملوا الصالحات " فذكر الإيمان بالغيب، وما أنزل إلى الرسول ،وما أنزل من قبله والإيمان بالآخرة ، وإقامة الصلاة ، والإنفاق فى سبيله، كما بينت مصير المتقين الذين ساروا على النهج " أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون "، وهو ما لم يذكر فى سورة العصر .

ويمكنك أن تقرأ المعنى بين الفاتحة ،والبقرة ، والعصر هكذا: " اهدنا الصراط المستقيم" فتأتى الإجابة: ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ... والذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر، أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون، وغيرهم خاسرون .

السورة بين السور التي أقسمت بالزمان:ـ

نلفت أولا إلى أن السور التي بدأت بالقسم بجزء من الزمان تسبق سورة العصر فى النزول مباشرة ، ولا يفصل بينها وبين سورة العصر سوى سورة "الشرح"، وهى على الترتيب: " الليل" يليها " الفجر" ، ثم "الضحى "، ثم "الشرح "وبعدها " العصر" .

وفى هذا الترتيب التنزيلى إشارات منها :

أن ترتيبها من حيث النزول هو ترتيبها فى الواقع الزمنى، فالليل يليه الفجر، ثم الضحى، ثم العصر الأمر الثانى : أن النهار جاء مقسم الأجزاء ــ الفجر ــ الضحى ــ العصر ــ بينما جاء الليل دون تقسيم، وهذا يتناسب مع حركة

السبح الطويل فى النهار من الاستيقاظ للحركة، إلى السعى فى مناكب الأرض ثم التأهب للعودة ،أما الليل فلم يقسم لأنه سبات ونوم، والغالب لا يحتاج معه إلى تقسيم، أو تمييز وهذا هو الفرق بين قوله تعالى: ﴿ إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا طَوِيلٗا ٧ ﴾ (المزمل / ٧) وبين قوله تعالى: ﴿ وَجَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِبَاسٗا ١٠ ﴾(النبأ/ ١٠).

ونبدأ فى بيان المناسبات بين سورة العصر ،وهذه السور على ترتيب نزولها .

أولاً : بين العصر والليل :

= يقسم سبحانه فى سورة الليل بزمان السعى وهو:" الليل والنهار"، وبالساعى وهو:" الذكر والأنثى " على اختلاف المسعى، كما اختلف الليل والنهار، والذكر والأنثى، وسعيه وزمانه مختلف، وذلك دليل على اختلاف جزائه وثوابه ، وأنه ــ سبحانه ــ لا يسوى بين من اختلف سعيه فى الجزاء، كما لا يسوى بين الليل والنهار ، والذكر والأنثى [١] .

= جاء القسم فى سورة الليل على تفاوت الإنسان فى المسعى، ثم جاء القسم فى سورة العصر على خسر الإنسان، ويستثنى من هذا الحكم العام طائفة قليلة هم: الذين آمنوا ، وعملوا الصالحات، وتواصوا بالحق، وتواصوا بالصبر فى إشارة إلى أن غالب سعى الإنسان فيما يفضى به إلى الخسر، وأنه لا ينجو إلا من سلك سبيل الذين آمنوا ،وعملوا الصالحات، ليتدبر كل إنسان سعيه، ويعرضه على نهج الناجين ، وحينها يعلم أين هو، وإلى أين يأخذه سعيه، وما أكثر من ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً ،لأنهم لم يعرضوا سعيهم على منهج الله الذى خطته سورة العصر فى إيجاز بليغ .

---

(١) التبيان فى أقسام القرآن . لابن القيم : ص٦١ .

وقد جاء جواب القسم فى السورتين على النمط التركيبى ذاته، وجاء مؤكدا بإن ، واللام ، واسمية الجملة : " إن سعيكم لشتى " ، " إن الإنسان لفى خسر " ، وهذا من التناسب فى الموضوع والأسلوب .

كذلك أقسم الله بالليل والنهار وهما زمان السعى ، وقدم "الليل "لأنه قسم على سعى الإنسان، وغالب سعى الإنسان فى المعصية، وظلمة الليل تناسب ظلمة المعصية (١).

أما سورة العصر، فقد ذكر فيها "العصر" فقط، وأرجح الأقوال: أنه" الزمن " وهو الشاهد على الإنسان ،ويستوعب عمره كله ، فهو الأنسب مع عموم لفظ الإنسان، ولذلك تجد الخطاب فى سورة الليل " إن سعيكم "، أما العصر فهى تختصر منهج النجاة فى سطر وهى آخر ما يطرق سمع العبد فى القرآن من الحديث عن الإنسان .

= ثم تجد تناسبا آخر بين " الليل والنهار" فى سورة الليل ، وبين " خسر . والذين آمنوا وعملوا الصالحات" .

تجد الليل بظلامه يقابله "الخسر"، والنهار بإشراقه يقابله " الذين آمنوا وعملوا الصالحات" فى إشارة إلى أن أهل الإيمان ،والعمل هم النور للناس ، وأن منهج الإسلام هو شمس الدنيا ونورها الذى يأخذ بيد الإنسانية من ليل الجاهلية ،وظلماتها إلى نور الفلاح والنجاة من الخسر الذى حكم الله به على الإنسانية فى سورة العصر .

---

(١) كشف المعانى فى المتشابه من المثانى لبدر الدين بن جماعة ت: عبد الجواد خلف . ط/ الوفاء . الطبعة الأولى ١٤١٠هـ ــ ١٩٩٠م ، ص ٣٧٦ .

ثانياً : بين العصر والفجر.

نلحظ من ألوان التناسب بين السورتين وجوهاً منها :

= أقسم الله ــ سبحانه ــ بالفجر، ثم ختم المقطع بقوله:" هل فى ذلك قسم لذى حجر" أى: عقل يحجره ويمنعه عن الهوى فى درك الهوى، فيعليه على أوج الهدى فى درج العلا، حتى يعلم أن الذى فعل ما تضمنه القسم لا يتركه سدى، وأنه قادر على أن يحيى الموتى"(١).

ثم اقسم بعدها بالعصر على أن الإنسان فى خسر، فى إشارة إلى قلة أهل الحجر والنهى فهم الذين لا يقعون فى بئر الخسر باتباع الهوى، لأنهم مستمسكون بمنهج النجاة التي خطته سورة العصر.

= ومن التناسب بين السورتين كثرة الخاسرين فى مقابلة الفائزين ، فقد ذكرت سورة الفجر كثيراً من أهل الخسر:" عاد، وفرعون، وثمود، والإنسان المبتلى بالإكرام والنعيم ، والمبتلى بالتضييق فى الرزق "، وجاء فى مقابلة هؤلاء نموذج النفس المطمئنة التي ترجع إلى ربها راضية مرضية .

وكثرة أهل الخسر حقيقة أقسمت عليها سورة العصر ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ۝١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ ۝٢﴾، ثم استثنت من هذا الخسر العام طائفة واحدة:" إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات..." فهؤلاء الذين استمسكوا بمنهج الله هم من يقا ل لهم عند لقاء الله : ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي﴾ (الفجر/ ٢٧ – ٣٠) .

(١) نظم الدرر للبقاعى: ج٨ ص ٤١٥ .

وكما ذكرت السورة نماذج من أهل الخسر، ذكرت كذلك أسبابا لهذا الخسر مـــثل :

﴿ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ﴾(الفجر/ ١١ – ١٢)، ﴿كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ وَلَا تَحَـٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴾(الفجر/ ١٧ – ٢٠)، وهذه الأسباب وغيرها يطويها كلها لفـظ" الخسر" فى سورة العصر بتنكيره الذى سرَّحَه إلى بقعة الإبهام والتنويع .

= تشترك السورتان كذلك فى أن لفظى: " الفجر ، والعصـر " لـم يـأت القسم بهما فى القرآن إلا مرة واحدة، وبإطلاق دون قيد، بخلاف الليل والنهـار ، فيقيدان فى القسم بها بوصف .

والفجر والعصر طرفاً النهار الذى هو ميدان السعى والعمل ،قبل التهيـؤ للانقطاع ، وقد جمع النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ صـلاتهما فـى الحـديث ، وجعله بابا للجنة فقال:" من صلى البردين دخل الجنة" [(١)].

ثالثاً : بين العصر والضحـى .

سـورة الضحى هى أقرب السور إلى سورة العصر من حيث النـزول، إذ لا يفصل بينهما إلا سورة الشرح ، وفيها يقسم الله تعـالى علـى إنعامـه علـى رسوله، وإكرامه له،" وتأمل مطابقة هذا القسم ،وهو نور الضحى الذى هو يوافى بعد ظـلام الليل ، للمقسم عليه وهو نور الوحى الذى وافاه بعد احتباسه عنـه، حتى قال أعداؤه ودع محمداً ربه ، فأقسم بضوء النهار بعد ظلمة الليل على عودة الوحى ونوره بعد ظلمة احتباسه"[(٢)].

---

(١) البخارى ك: الصلاة ب : فضل صلاة الفجر .

(٢) معترك الأقران فى إعجاز القرآن للسيوطى ج١ص ٣٤٥ ، وما بعدها .

= ففي سورة الضحى نور جاء بعد ظلمة ، وفى سورة العصر نجاة جاءت بعد خسر وهذه مناسبة.

= وقد وقعت سورة العصر بين خسرين: خسر الذين ألهاهم التكاثر، وخسر الهمزة اللمزة الذى جمع مالاً وعدده ، فخطت منهج النجاة من الخسر فى سطر، يأخذ بيد من استمسك به إلى جنات ونهر .

= وفى سورة الضحى وقع نور الضحى بين ليلين" الليل إذا يغشى " و"الليل إذ سجى"، جاء نور الضحى بعد ليل الجاهلية فأشرقت بآيات الوحى شمس الإيمان وأدبر ليل البهتان، وسيظل نوره باقيا محفوظاً حتى تغرب شمس الإنسانية ،ويحل الليل الذى يكون نهاره يوم القيامة.

= كما جاءت سورة الضحى بعلة اتباع منهج النجاة فى قوله ــ سبحانه ــ لنبيه: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٤﴾﴾ (الضحى/ ٤) فالذى يوقع الناس فى هلكة وخسر هو التهاؤهم بالأولى عن الآخرة. فإذا قال الله لنبيه المعصوم "وللآخرة خير لك من الأولى " ، فالإنسان مخاطب بذلك من باب أولى ."فإذا آمن بذلك، واستقر فى قلبه وجد نفسه مدفوعاً إلى خير الآخرة ،وحينئذ يدخل فى قوله تعالى:" ولسوف يعطيك ربك فترضى"لأنه سلك سبيل الذين آمنوا، وعملوا الصالحات ،وتواصوا بالحق، وتواصوا بالصبر " .

= ولعلك تلحظ كلمة الرضى التي ختمت بها سورة الليل: ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾ (الليل/٢١) ، جاءت فى ختام الفجر: ﴿ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾﴾ (الفجر/٢٨)، وفى الضحى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ ﴿٥﴾﴾ (الضحى/٥) واحدة تتحدث مع النبي، وثانية تتحدث عن الصديق أبى بكر، وثالثة تخاطب كل نفس

استمسكت بمنهج النجاة الذى خطته سورة العصر، وقدمه النبي وأصحابه تطبيقاً عملياً للإنسانية كلها .

أخـيراً بين سورة العصر وسورة التين .

سورة التين من السورة التي تربطها بسورة العصر علاقات ومناسـبات كثيرة منها :

١ــ أن الله أقسم فى السورتين على أحوال الإنسان ، أقسم فى التين على بدايته ، ونهايته، وأقسم فى العصر على أنه فى خسـر .

٢ــ النص على لفظ الإنسان فى جواب القسم " لقد خلقنا الإنسان" " إن الإنسـان لفى خسر".

٣ــ الحكم على الإنسان بالخسر والهلاك ثم استثناء طائفة ناجية "ثم رددناه أسفل سافلين* إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات " " إن الإنسـان لفـى خسـر " " إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات" والاستثناء فى السورتين يقرر أن أهـل الخسر هم أغلب الإنسانية لأن الأقل يستثنى من الأكثر وليس العكس .

وتبقى بين السورتين وجوه اختلاف، تتكامل فى تحديـد معـالم المعنـى، وتشكيل الصورة ومنها:

١ــ أن سورة التين أقسمت بالمكان ، وسورة العصر أقسمت بالزمـان ، وهمـا جناحا الحياة ، والإنسان، والمنهج مشترك بينهما، فنجـد فـى السـورتين: المكان، والزمان، والإنسان، والمنهج، الذى يضبط هذا كله وفق مـراد الله. وتلك دعائم الحضارة التي تريد تصدر المشهد الإنسانى.

٢ــ أن سورة العصر بدأت بالحكم على الإنسان بالخسر، ثم استثنت الناجين، وسورة التين تحدثت أولاً عن خلقه فى أحسن تقويم ، ثم رده أسفل سافلين، ثم استثنت الناجين "وأسفل سافلين" هى: النار على الصحيح كما يقول ابن القيم .

وقالت طائفة معناه: الرد إلى أرذل العمر، ورده ابن القيم لوجوه أهمها:

- أن الرد إلى أرذل العمر لا يسمى أسفل سافلين، لا فى لغة ،ولا عرف .
- أن المردودين إلى أرذل العمر بالنسبة إلى نوع الإنسان قليل جداً، فأكثرهم يموت ، ولايرد إلى أرذل العمر .
- أن من الذين آمنوا وعملوا الصالحات من يرد إلى أرذل العمر ، وليس مختصاً بالكفار ليستثنى منهم المؤمنين (١).

٣ــ حكمت سورة العصر على الإنسان بالخسر بصورة عامة ، ولم تذكر مصير الذين آمنوا وعملوا الصالحات، وإنما علم هذا بمفهوم المخالفة، بينما ذكرت سورة التين مصير الفريقين " ثم رددناه أسفل سافلين " " فلهم أجر غير ممنون " .

٤ــ تدل سورة العصر على أن الابتداء من النقصان، والانتهاء إلى الكمال" فى خسر* إلا الذين آمنوا.." وتدل سورة التين على أن الابتداء من الكمال "أحسن تقويم " ، والانتهاء إلى النقصان "أسفل سافلين "، فكيف نجمع بين السورتين ؟.

قال الرازى : المذكور فى سورة التين أحوال البدن ، وفى سورة العصر أحوال النفس فلا تناقض بين القولين (٢).

---

(١) يراجع التبيان فى أقسام القرآن لابن القيم ص ٥٢ ــ ٥٣ .

(٢) تفسير الرازى م ١٦ ج٣٢ ص ٨٤ .

ويذكر النيسابورى أنه: يمكن أن يقال: إن كلا الأمرين فى شأن النفس ، إلا أنه أراد فى "التين" ذكر استعداده الفطرى، وهنا أراد حكاية معاملته بعدما أعطى رأس ماله .

ولا ريب أن أكثرهم منهكون فى طلب الملذات العاجلة المضيعة للاستعداد الأصلى، إلا الموفقين الموصوفين بالكمال ، والإكمال[١] .

٥ــ الاختلاف فى الصفات الواردة بعد الاستثناء.

اقتصرت سورة التين على ذكر صفتين " إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات" وأضافت سورة العصر إليها: " وتواصوا بالحق ، وتواصوا بالصبر ".

والسر فى ذلك ــ والله أعلم ــ أن سورة التين تتحدث عن النجاة من الرد أسفل سافلين: " النار " وهذا يكفى فيه الإيمان والعمل الصالح، أما سياق العصر، فيتحدث عن النجاة من الخسر، وهنا لا يكفى الإيمان والعمل الصالح ، لأن العبد قد يكون من أهل الجنة ،ولا ينجو من خسر يتمثل فى فقد درجة أعلى، كان يمكنه الوصول إليها لولا أنه فرط فى أمر ، أو قصر فى أداء واجب.

يقول ابن القيم : " وتأمل حكمه الله تعالى لما قال:" إن الإنسان لفى خسر " ضيق الاستثناء فقال: " إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر " ولما قال: "ثم رددناه أسفل سافلين" وسع الاستثناء فقال" آمنوا وعملوا الصالحات" ولم يقل: "وتواصوا" فإن التواصى هو: أمر الغير بالإيمان ، والعمل الصالح ، وهو قدر زائد على مجرد فعله،

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابورى ط/ دار الكتب العلمية بيروت . الطبعة الأولى ١٩٩٦م ج٦ ص ٥٦.

فمن لم يكن كـذلك فقد خسر هذا الربح فصار فى خسـر، ولا يلـزم أن يكـون فى أسفل سافلين ؛ فإن الإنسـان قد يقوم بما يجب عليه ، ولا يأمر غيره به ، فإن الأمر بالمعروف ، والنهى عن المنكـر مرتبة زائدة وقد تكـون فرضـاً على الأعيان ، وقد تكون فرضا على الكفاية ،وقد تكون مستحبة ... ومن ربح فى ساحة ، وخسر فى ساحة غيرها قد يطلق عليه أنه فى خسر.." [١].

وفرق كبير بين الخسر المطلق ، ومطلق الخسـر .

(١) التبيان فى أقسام القرآن لابن القيم ص ٨٥ .

الفصـل الثالث

سمـات السـورة

وقف البحث فى رحلته على كثير من السمات التي بـرزت فـى سـورة العصر، من هذه السمات ما هو عام يتعلق بمجمل السورة، ومنها ما هو خـاص يتعلق بجانب منها، كدلالة بعض الألفاظ والمعاني، والتراكيب ، وغيرها.

ونقـف الآن مع أهم هذه السمات:ـ

١ـ سـورة العصر إعجاز غيبي

بدأت السورة بالقسم على حقيقة تقض مضاجع العقلاء: " إن الإنسان لفى خسر"، وهذا حكم يستوعب الإنسانية كلها، ثم جاءت:" إلا " لتستثنى طائفة قليلـة نجوا من الهُوى فى بئر الخسر هم " الذين آمنوا وعملوا الصـالحات وتواصـوا بالحق وتواصوا بالصبر ".

وحين تستقرئ واقع الإنسانية المظلم ،وترى نسبة أهـل الإسـلام إلـى غيرهم، تدرك الإعجاز الغيبى فى قوله تعالى :" إن الإنسان لفى خسر" ، وهذا إذا نظرت إلى أهل الإسلام على العموم، فكيف بك إذا نقلت الموازنة إلى دائرة أهـل المنهج الذى سطرته السورة: " الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بـالحق وتواصوا بالصبر "؟ ستكون الموازنة صادمة بلا ريب.

ويؤكـد اتساع دائرة الخسر أن الله سبحانه ذكر الإنسان مجرداً من كل وصف ، مما يشعر أن علة الخسر تكمن فى طبيعة إنسانيته ، وأن النجاة مؤسسة على أمر خارج عن إنسانيته ، وهو الإيمان، والعمل، الصالح، والتواصى بالحق ، والتواصى بالصبر ، فكأن الخسارة هى الأصـل والجـوهر، والنجـاة عارضـة بالاستثناء[١].

(١) راجع : تفسير بيانى لسورة العصر . أبو عبد العز .

وقـــد أكـــد سبحانه هذه الحقيقة بالقسم ، و" إن " ، و" اللام " ، واسمية الجملة ، ثم بين إحاطة الخسر بالإنسان بالحرف :" فى "، وهذا التأكيد لا يعطـــى معنى الفداحة فى الخسر، بقدر ما يلفت إلى اتساع دائرته لتدخل الإنسانية كلهـــا، ثم تأتى النجاة استثناء لطائفة قليلة استمسكت بمنهج النجاة الذى خطته الســـورة الكريمة ، وقوة التأكيد لغرابة الخبر، وبيان اتساع دائرة الخسر، وإغفال النـــاس هذه الحقيقة المرُة .

٢ـ إحاطة السورة بوضع الإنسانية

تتحقق شمولية السورة وإحاطتها فى استيعاب الوضع الإنســـانى العـــام، لأنها تجيب عن سؤاليين جذريين ، الأول : ما وضع الإنسان ؟ ، والجـــواب: " إن الإنسان لفى خسر " ، الثانى: ما السلوك الذى ينبغى أن يصدر عنه فى هذا الحال؟ والجواب تأتى به الآية الثالثة:" إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ".

وهذه الشروط الأربعة للنجاة تحيط بالإنسانية من كل جهة ، فما من ملكة إلا وقد دخلت وطيس الاختبار، فالإيمان اختبار للقلب، والعمل اختبـــار للجســـد ، والحق اختبار للعقل، والصبر اختبار للنفس [١] .

وهـــذا من التناسب فى المقابلة بين إحاطة الخسر بالخاسر:" فى خسر" ، وبين إحاطة منهج النجاة بصاحبه من كل جهة، إحاطة الخســـر مثلتهـــا كلمـــة: " فى "، والثانية جاءت فى آية كاملة تمثـــل بوضوح مفهوم العبودية كاملاً وهى: " اسم جامع لكل ما يرضى الله تعالى من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنـــة"[٢]،

---

(١) تفسير بيانى لسورة العصر . أبو عبد المعز .

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية ت : عبد الرحمن النجدى . مكتبة ابن تيمية، ج١. ص ١٤٩ .

وهو مفهوم يحيط بعمل القلب، والجوارح ، واللسان:" آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر".

كذلك تتحقق شمولية السورة وإحاطتها فى تصنيف الناس صنفين :

الخاسرين ، والناجين ، وتشير فى الوقت نفسه إلى أن الخاسرين أكثر عدداً من الناجين ، بدلالة الاستثناء ، فقد تقرر فى اللغة أن يستثنى الأقل من الأكثر ولا يجوز العكس، وتتفق هذه الإشارة مع النصوص الصريحة التي تثبت هلاك أكثر الناس(١).

والسورة ورقة عمل تجمع الأمة ، وتعطيها درساً قوياً فى استثمار العمر، والحرص على الوقت، وإدارته لصالح العبد، والأخذ بيده إلى الجنة، لأن إضاعة الوقت من أمارات المقت يقول ابن القيم:" إضاعة الوقت أشد من الموت، لأن الموت يقطعك عن الحياة، وإضاعة الوقت تقطعك عن الله(٢).

٣ـ السورة أقصر بناء تركيبي فى القرآن

جاءت سورة العصر لتقرر حقيقة لا تتغير بتغير الظروف وتعاقب الأيام، هذه الحقيقة هى التي أقسم عليها رب العالمين بالعصر: " إن الإنسان لفى خسر "، ولا سبيل للنجاة من هذه الحقيقة إلا بما جاء فى الآية الثالثة :" إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر " .

وحين تقرأ السورة تجدها كلها جملة واحدة، لا يكتمل المعنى إلا عند آخر كلمة فيها، لأنها تضمنت حكماً ، ومحكوماً به ، ومحكوماً عليه، فالحكم : هو

(١) تفسير بيانى لسورة العصر . أبو عبد المعز .

(٢) الفوائد لابن القيم ط/ دار الكتب العلمية . بيروت لبنان الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ ــ ١٩٧٣م ص٣١ .

ما حكم الله به على الإنسان من الخسر، والمحكوم عليه: هو الإنسان ، والمحكوم به: هو الخسران لمن لم يؤمن ويعمل صالحا، والنجاة والربح للذين آمنوا ، وعملوا الصالحات، وتواصوا بالحق، وتواصوا بالصبر.

وسورة العصر باعتبار البنية التركيبية هى أقصر سور القرآن ، فسورة " الكوثر" وإن كانت أقل فى عدد الكلمات ، إلا إنها زادت عليها فى عدد التراكيب، فقد انتظمت فى أربع جمل ، بينما جاءت سورة العصر جملة واحدة، بدأت بالقسم، وذيلت بالاستثناء(١).

وحين يتدبر الإنسان هذا البناء التركيبي ويتأمل معانيه يوقن أن القرآن كلام الله تعالى ، لأنه لا يمكن لأحد أن يكشف حقيقة الوضع الإنسانى ، ويضع طريق النجاة ، ويحدد وظيفة الأمة ، ووظيفة كل فرد من أفرادها فى إكمال نفسه وتكميل غيره ــ لا يمكن لأحد أن يضع هذا كله فى ثلاث آيات .

فالسورة من جوامع الكلم التي تعلم الأصول بقول جامع ، ثم يفصل هذا القول فى مواضع أخرى، وقد نبه ــ سبحانه ــ على هذا الأصل حيث قال ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ١﴾ (هود/ ١) .

٤ـ مطلع السورة وخاتمتها

لم تبدأ سورة فى القرآن بما بدأت به سورة العصر ، ولا ختمت سورة بما ختمت به، فهى متفردة فى المطلع والخاتمة.

بدأت بالعصر الذى يعتصر الإنسانية بالتكاليف والابتلاءات ليستخرج خلاصتها، ويلقى شوائبها أسفل سافلين، أو بدأت بالزمن الشاهد العدل على خسر

(١) تفسير بيانى لسورة العصر . ابو عبد المعز .

الإنسان ، وختمت "بالصبر " ، وهو رأس الأمر الذى تحتاجه جميع دعائم مـنهج النجاة:" الإيمان، العمل الصالح، والحق، والتواصى به، والصبر، والتواصى به".

ولا يجوز بلاغة أن يأتى قسم آخر فى هذه السياق غير " العصر " ، فـلا يجوز هنا القسم بالفجر، أو الضحى ، أو الليل ، وقد بينا السرّ فـى ذلـك مـن قبل(١).

وهذا التفرد فى المطلع والخاتمة يتناغم مع تفرد السورة بإجمال مـنهج النجاة، وتفرد أهل النجاة بين الإنسانية .

فقـد أجملت السورة منهج النجاة، وأسست لما هو قادم من تفاصيل هـذا المنهج، وتحليل أجزائه، ثم إنك بعد قراءة تفصيل المنهج حين تعود إلى قـراءة السورة تجدها خلاصة وافية لكـل ما قرأت ، فهى فى البداية تأسـيس ، وفـى النهاية إجمال وتلخيص .

٥ـ آخـر ذكر للإنسان ، وآخر قسم فى القرآن

سورة العصر هى آخر سورة ذُكر فيها الإنسان فى ترتيـب المصـحف، وقسَمَها آخر أقسام القرآن جاء ليؤكد أن الإنسان فى خسر، وقسـمت السـورة الناس صنفين : خاسر ، وناجٍ ، وأشارت فى الوقت ذاته إلى أكثرية الخاسـرين، بدلالة استثناء المؤمنين منهم.

وهـذا المعنى الذى أسسته سورة العصر فى مطلع نزول الوحى هو الذى فصلته وشرحته سور القرآن ، إذ لم يأت القرآن على ذكر الكثرة إلا فـى سـياق الذم .

---

(١) انظر: صفحة ٣٠ من هذا البحث

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٤٣﴾﴾(البقرة/ ٢٤٣) ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾﴾ (غافر/٥٩)﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾﴾(يوسف/ ٣٨) ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ ﴿١١٦﴾﴾(الأنعام/ ١١٦).

بينما تأتى القلة فى سياق المدح:﴿وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾﴾(هود/٤٠)، ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾﴾(سبأ/ ١٣) ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ﴿٢٤﴾﴾ (ص/٢٤) .

وقد ارتبط كل خلق ذميم بلفظ الإنسان" ، بل جاء بعضها بصيغة المبالغة مثل: " قنوط ، كفور، قتور ،هلوع ، جزوع ، ظلوم، جهول " ، وهذه الصفات، وغيرها هى التي تمنعه من أداء التكليف الإلهى الذى لأجله أوجد الإنسان فى هذه الأرض، ولا يستطيع إنسان أن يتجاوز هذه الصفات السلبية ، ويستثنى من الخسر الذى يقود إليه الاستسلام للصفات السابقة إلا بالاستسلام لمنهج النجاة الذى رسمته سورة " العصر" مبكراً فى بداية نزول القرآن ، ثم فصله البيان القرآنى فى آياته ، وسوره بعد ذلك(١).

وعلى الرغم من هذا الحكم العام على الإنسان بالخسر، إلا أن السورة فى آية واحدة وضعت له طوق النجاة ،ومنهج الفلاح الذى يبعده عن كل خسر، بل عالجت ما ذكره القرآن من صفات الإنسان وعيوبه التي تفضى به إلى الخسر، فكل ما ذكر فى القرآن من عيوب، وصفات ذميمة للإنسان علاجه فى هذه الآية: "إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وتواصوا بالحق ، وتواصوا بالصبر".

---

(١) راجع: اقتران الإيمان بالعمل الصالح فى القرآن الكريم. ودلالته الحضارية د/ عبد الرحمن حللى. مجلة جامعة دمشق مجلد/ ٢٧ ع/٣ سنة ٢٠١١م ص ٣ .

ونلفت إلى أن هذه الصفات الذميمة التي ذكرها القرآن للإنسان لا تنافى استخلاف الله له، وتكريمه على خلقه: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ﴿٧٠﴾﴾ (الإسراء/ ٧٠)،لأن الإنسان يكون خاسراً إذا لم يؤد حق الله فيما استخلفه فيه ، وإذا لم يعش الحياة كما أراد الله ، وهذا ديدن أكثر الناس .

٦- ارتباط الزمن بعناصر بناء السورة

تسرى فى بناء السورة روح الزمن: "العصر"، وتربط ارتباطا وثيقاً بكل عنصر منها، بداية من "الإنسان " الذى هو قطعة من الزمن ، كلما انقضى يوم انقضى بعضه ، ثم : "الخسر" الذى يقيسه ،ويدركه الإنسان من خلال الزمن ، وهو أعدل شاهد، ثم :" الإيمان " وهو بذرة تسقى بماء " العمل " المرتبط بالزمن، كذلك: "التواصى بالحق" ، "والتواصى بالصبر" الذى يقاس بقوة التحمل ، وطول الأمد فى الثبات على الطاعة ، أو عن المعصية ، أو على قدر الله تعالى.

وبدت حروف المد ظاهرة فى أكثر مفردات السورة الكريمة، وهو ما يناسب امتداد الزمن "الإنسان ــ فى ــ الذين آمنوا ــ عملوا ــ الصالحات ــ تواصوا ــ تواصوا " .

وعلى الرغم من كثرة حروف المد التي جاءت فى ألفاظ السورة إلا إنك تجد المقطع مغلقا قوياً خاليا من أى مدّ، والوقف على رأس الآية يوجب اجتماع ساكنين وهو شاق على الناطق العربى ، فكأن صياغة السورة تسوق الإنسان بامتداد الحروف إلى رحلة تنتهى بوقفة قوية أمام الحقيقة فى نهاية المقطع " إن الإنسان لفى خسر" ،" إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر".

فاتسقت السورة فى شكلها ومضمونها مع الحقيقة المرادة منها[١].

٧ ـ السورة محور سياقها المحيط بها

سورة العصر هى محور سياقها المحيط بها؛ فغالب السور التي قبلها تمهد لهذه الحقيقة التي ذكرتها سورة العصر ، " إن الإنسان لفى خسر* إلا الذين آمنوا ..." ، وجاء فى هذه السور بعض أسباب النجاة، ولكن لم تخط سورة منها منهج النجاة من الخسر كاملاً كما فعلت سورة "العصر" .

وغالب السور التي تلى " العصر " هى نماذج وأمثلة " للخسر " الذى جاء منَّكراً فى سورة العصر .

٨ ـ دلالات المفردات ووفاؤها بحق المعنى

تبدو لطائف الإعجاز فى دلالات مفردات السورة، ووفائها بحق المعنى المراد منها، وقد وقفنا على دلالة " العصر " ومدى المناسبة بينها وبين أجزاء السورة ، وحين تنظر إلى لفظ : "الإنسان " بما يُجمله من صفات ذكرها القرآن تدرك سر خسرانه، وقد جاء اللفظ مفرداً وإن كان معناه الجمع، ولم يأت لفظ " الناس " ،وعلل الإمام الشوكانى لذلك بقوله :" يمكن أن يقال: إن هذا اللفظ أعنى: " الإنسان " خاص بهذا النوع ، لا يتناول غيره، ولا يشاركه فيه سواه بخلاف لفظ " الناس " ، فإنه كما قالت كتب اللغة يطلق على الجن أيضا ، كما يطلق على الإنس[٢].

---

(١) انظر: تأملات فى سورة العصر . محمد عادل القلقيلى . مجلة هدى الإسلام الأردن م/٢٧/ع/ ٨ ــ ١٩٨٣ م .

(٢) النشر لفوائد : سورة "العصر " للإمام الشوكانى ص ١٤٢ .

ولو كان الأمر كما قال الإمام الشوكانى، لكان لفظ " الإنس " أولـــى ، لأن الحكم بالخسر يشمل الثقلين .

ولعل سر الإفراد يرجع ــ والله أعلم ــ إلى لفت الإنسان ليقف وحده فـــى مواجهة حقيقة الخسر، يتفقد موضع قدميه ليدرك أين هو من هذا الحكم الإلهى ؟، ثم إن قرار اتباع المنهج الإلهى قرار فردى، يختاره الإنســـان، ويتحمـــل تبعاتـــه وحده، وهذا يناسب الإفراد فى لفظ الإنسان.

وحين يختار طريق النجاة من الخسر يصير جزءاً من جسد هذه الأمة ، وواحداً من الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر " .

لذلك ذكر الإنسان فى مطلع السورة مفرداً، لكن الاستثناء لم يأت بصـــيغه الإفراد: " إلا الذى آمن "، وإنما بصيغة الجمع، فى إشارة إلى ضرورة الإحســـاس بأنه جزء من هذه الأمة، وأنه لايمكن أن يتجاوز هذا الكم الكبير مـــن الخســـارة بعيداً عن إخوانه المؤمنين ، فصياغة الألفاظ تربى الإنسان على حب الجماعـــة ، وعلى أنه جزء من جسد الأمة كما قال المصطفى ــ صلى الله عليه وســـلم ــ :" ترى المؤمنين فى تراحمهم ،وتوادهم ،وتعاطفهم، كمثل الجسد إذا اشتكى عضـــواً تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى"[١] .

= ثـــم انظر إلى لفظ " خسر " بصيغة " فُـــعْل " الاسمية التي تحمل معنى الديمومة، والاستمرار مما يزيد فى النذارة والتحذير، ثم هى أقل فى الدلالة من : "الخسار، والخسران"، وهذه القلة لأنه لم يسلم أحد من خســـر، حتـــى المـــؤمنين الصالحين الذين كان بإمكانهم أن يأتوا بأحسن مما أتوا.

---

(١) رواه البخارى ك : الأدب ب: حسن العهد من الإيمان .

= وتأمل الدقة فى لفظ " عملوا" ، دون " فعلوا" : فالعمل : كل ما يكون بقصد، فهو أخص من الفعل، لأن الفعل ينسبُ إلى الحيوانات التي يقع منها فعل بغير قصد، وقد ينسب إلى الجمادات ، ولم يستعمل "العمل " فى الحيوانات إلا فى قولهم:" البقر العوامل "، والعمل يستعمل فى الأعمال الصالحة، والسيئة، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ وقال : ﴿ مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ ﴿١٢٣﴾ ﴾ (النساء/ ١٢٣)[١].

= ثم تأمل " الصالحات " دون غيرها مثل" الطيبات "، ومادتها " صلح " والصلاح ضد الفساد وهما مختصان فى أكثر الاستعمال بالأفعال، وقوبل فى القرآن تارة بالفساد، وتارة بالسيئ قال تعالى: ﴿ خَلَطُواْ عَمَلٗا صَٰلِحٗا وَءَاخَرَ سَيِّئًا ﴿١٠٢﴾ ﴾ (التوبة/ ١٠٢)، وقال :﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصۡلِحُ عَمَلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ (يونس/ ٨١) [٢].

ولفظ " تواصوا " من حيث التعبير" به دون " تناصحوا " مثلاً ، لأن لفظ التواصى يحمل تأكيداً بليغاً على أنه أمر مهم كالوصية تاماً ، ومعلوم أن الوصية تكون على مشارف الموت، وأن صاحبها يوصى بأهم ما يشغله ، ويريد تحقيقه .

والتعبير بصيغة الماضى " تواصوا " دون المضارع، لأن الغرض هو مدحهم بما صدر عنهم فى الماضى ، وذلك يعكس رغبتهم فى الثبات عليه فى المستقبل[٣].

---

(١) المفردات للراغب الأصفهانى مادة : " عمل " .
(٢) السابق مادة " صلح " .
(٣) تفسير الإمام الرازى م/١٦ ج/٣٢ ص ٨٥ .

كذلك جاء التعبير بصيغة " تواصوا " الدالة على المشاركة، وتجاوز حدود الفردية؛ فالمجتمع كله يوصى بعضه بعضا، فليس هناك طبقة فاعلة للوصية، وأخرى منفعلة، بل كل فرد فاعل ومنفعل فى وقت واحدٍ .

" وهذا الفعل يفتح الباب أمام التنمية المعرفية، وترقية التعليم، والنهوض بمسئولية الإعلام، استجابة لطبيعة الإنسان وتعاطفاً معها"(١).

٩ ـ وفرة التأويلات ، واتساع الدلالات

السياق هو صاحب الكلمة العليا فى تحديد الدلالة ، فقد يرد اللفظ الواحد فى سياقات قرآنية مختلفة ، وتختلف دلالته باختلاف السياقات التي ورد فيها، وقد تجد لفظاً واحداً يحتمل معانى عدة يحتملها السياق، وتتعدد على أساسها التأويلات . يقول الدكتور محمد عبد الله دراز ــ رحمه الله ــ " تقرأ النص من القرآن فيخيل إليك أنك قد أحطت به خبراً، ووقفت على معناه محدوداً ، هذا ولو رجعت إليه كرة أخرى لرأيتك منه بإزاء معنى جديد غير الذى سبق إلى فهمك أول مرة، وكذلك ترى للجملة الواحدة ، أو الكلمة الواحدة وجوها عدة كلها صحيح، أو محتمل للصحة، كأنما هى فص من الماس يعطيك كل ضلع منه شعاعاً فإذا نظرت إلى أضلاعه جملة تبهرك ألوان الطيف كلها، فلا تدرى ماذا تأخذ عينك، وماذا تدع؟، ولعلك لو وكلت النظر فيها إلى غيرك رأى منها أكثر مما رأيت ، وهكذا تجد كتاباً مفتوحاً مع الزمان يأخذ كل منه ما يسر له، بل ترى محيطاً مترامى الأطراف لا تحده عقول الأفراد والأجيال"(٢).

---

(١) تأملات فى سورة العصر د/ خالد فهمى ص ٤٨ .

(٢) النبأ العظيم نظرات جديدة فى القرآن ــ د/ محمد عبد الله دراز ط/ طار القلم الطبعة التاسعة ١٤٩٦هـ ــ ٢٠٠٥م ص ١٥٦ .

وسورة العصر نموذج فى ذلك " فلفظ " العصر " يحتمل المعنى المصدرى، والزمن ، وعمر الإنسان، وعمر النبي ، وعصر الإسلام ، والسياق يحتملها جميعاً، بل بدت المناسبة واضحة بين القسم وجوابه على اختلاف هذه المعاني .

كذلك لفظ " خسر " حمله المفسرون على معنى : الضلال ، أو الهلكة ، أو النقصان ، أو العقوبة، أو الشر ، وكلها معان يحتملها السياق [١] .

= ولفظ " الحق " منهم من حمله على " التوحيد " كقوله تعالى ﴿ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ (الصافات/٣٧)، ومنهم من حمله على معنى:" الإسلام "﴿ وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ ﴿٨١﴾ ﴾ (الإسراء/ ٨١) ومنهم من حمله على " القرآن" ﴿ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ ﴿٥﴾ ﴾ (ق/ ٥)، ومنهم من قال: هو الله : ﴿ وَلَوِ ٱتَّبَعَ ٱلْحَقُّ أَهْوَآءَهُمْ ﴿٧١﴾ ﴾ (المؤمنون/ ٧١) [٢] .

ولفظ الحق عام يشمل جميع الحقوق، من حق الله على عباده، وحق المجتمع على أفراده وحق المجتمعات على بعضها، وحق الأفراد على مجتمعاتهم، وعلى بعضهم، وحق الضعفاء والبؤساء .

وهذا المبدأ بهذه السعة من المبادئ الجليلة التي قررها القرآن مرة، بعد مرة، وبأساليب متنوعة حتى كان من أهم أسس الدعوة الرئيسية [٣] .

تأمل كذلك لفظ " الصالحات " وما تحمله من معانى الخير، والمعروف الظاهر والباطن، وهكذا سائر ألفاظ السورة الكريمة .

---

(١) راجع تفسير الطبرى ج١٠ ص ٣٩٠ ، وتفسير الماوردى ج٦ ص ٣٨.

(٢) اللباب فى علوم الكتاب . أبو حفص الدمشقى ت: عامل عبد الموجود، وعلى معوض ط/ دار الكتب العلمية بيروت ، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ ــ ١٩٩٨م ج٣ ص ١٣.

(٣) التفسير الحديث محمد عزة دروزة ج١ ص ٥٦١ .

ـ وهذا الاتساع فى الدلالات والوفرة فى التأويلات يثير النفس ويفتح للعقل بابا من للتدبر والتأمل فى كتاب الله ، تقرأ: " إن الإنسان " فيدفعك اللفظ بعمومه إلى معرفة صفاته التي ذكرها الله فى كتابه، ولماذا وقع الإنسان فريسة للخسر؟ ، ثم تقرأ: " فى خسر " فتجدك مدفوعاً إلى معرفة هذا الخسر المنكر فى السورة ما هو ؟ وما أسبابه ؟ وما أنواعه؟ وكيف أنجو منه ؟ فتجد السورة تعطيك بمنطوقها أسباب النجاة، وبمفهومها أعظم أسباب الخسارة: الكفر، وعمل السيئات، والتواصى بالباطل والجزع، وتفتح لك الباب لمعرفة المزيد من كتاب الله، حتى يجيب عن كل سؤال جال بخاطرك، أو لم يجل .

وهكذا الحال مع سائر ألفاظ السورة " آمنوا ـ الصالحات ـ الحق ـ الصبر " .

= وكأن الله سبحانه حين قال: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ ٢٩﴾ (ص/ ٢٩) لم يتركنا هكذا، بل جعل فى طبيعة التراكيب ، ودلالات الألفاظ ، مايثير فى نفسك دوافع البحث، والفهم لترحل فى استنباط المعاني، واستخراج مكنون العطاء وفق ضوابط الفهم والاستنباط، والرحلة مع المعنى القرآنى رحلة لها بداية، وليس لها نهاية ، وعلى قدر العطاء يكون العطاء .

= وتتسع دائرة العطاء الدلالى فيخرج من حدود السياق الداخلى للسورة إلى سياقات قرآنية أخرى يفسر، ويرجح فيها رأياً على آخر .

ففي سورة الشمس مثلاً يختلف المفسرون فى قوله تعالى : ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ٩ وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ١٠﴾(الشمس /٩ـ ١٠)، فمنهم من يحملها على معنى: قد أفلح من زكى نفسه، وقد خاب من دساها .

قال ابن القيم: وهو الصحيح ، وهو نظير قوله تعالى : ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾﴾ (الأعلى/ ١٤) .

ومنهم من قال إن الضمير يرجع إلى الله سبحانه ، والمعنى :" قد أفلحت نفس زكاها الله ، وأصلحها[١] ، ورجح ابن القيم الرأى الأول ، وساق له أدلة ، ليس من بينها سورة العصر.

وواضح أن سورة العصر بعطائها الدلالى ترجح الرأى الأول ، لأن الله ــ سبحانه ــ قد أسند الأفعال فيها إلى المؤمنين فقال: " إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر"، وإن كان هذا كله محض فضل الله وتوفيقه، قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾(القصص/٥٦)، وقال كذلك:﴿وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا ۚ ﴿٥٤﴾﴾ (النور/ ٥٤)، فمن استهداه هداه ، ومن استعانه أعانه .

١٠ ـ القصد فى اللفظ مع الوفاء بحق المعنى

يأتى هذا العطاء الدلالى الدافق، والمعاني الوارفة الظلال فى سورة هى غاية الإيجاز، وهذا شأن القرآن ، تلتقى عنده نهايات الفضيلة كلها ،على تباعد ما بين أطرافها ، تجد بياناً قد قدر على حاجة النفس أحسن تقدير، فلا تحس فيه بتخمة الإسراف ، ولا بمخمصة التقتير[٢].

وسورة العصر نموذج لهذه الخصيصة القرآنية ، فعلى الرغم من عطائها الدافق تجدها تحوى ألوانا كثيرة من الإيجاز بنوعيه، فقد بنيت السورة ابتداء على

(١) التبيان فى أقسام القرآن لابن القيم ص ٣٠
(٢) النبأ العظيم د/ دراز ص ١٤٧ .

إيجاز الاحتباك ، حيث حذف من كل جملة ما دل عليه ما ثبت فى الأخرى[١] فالتقدير: إن الإنسان الذى لم يؤمن ، ويعمل صالحا لفى خسر، إلا الذين آمنوا، وعملوا الصالحات ... فليسوا فى خسر .

والاحتباك ضرب من إيجاز الحذف يستثمر أقل ما يمكن من اللفظ فى أكثر ما يمكن من المعنى، وفيه تنبيه المتلقى للبحث عن المحذوف ، فيجعله يتجاوب مع ما يقرأ ، فيرسخ المعنى فى ذهنه، وهذا من مطالب الحذف فى القرآن[٢].

= ومن ألوان الإيجاز فى السورة أن الله ــ سبحانه ــ ذكر سبب الربح، ولم يذكر سبب الخسر اكتفاءً ببيان المقصود، وإشعاراً بأن ما عداه يؤدى إلى خسر، يقول النيسابورى: "وفى إجمال الخسر، وتسريحه إلى بقعة الإبهام، ثم تفصيل الربح بأنه منوط بالإيمان، والعمل الصالح والتواصى بالحق، والتواصى بالصبر، دليل على غاية الستر والكرم، وأن رحمته سبقت غضبه[٣].

ويمكن أن يكون ترك سبب الخسر، لأن طريق الربح واحد هو الذى خطته السورة فى آياتها الثالثة ، بينما طرق الخسر وألوانه كثيرة لا تنتهى ، منها الفعل ، ومنها الترك.

= كذلك حذف مفعول " الإيمان "،لأنه يراد له الإطلاق أى: آمنوا بكل ما يقتضيه الإيمان ، أى : الإيمان الذى أشار إليه النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ بقوله: "الإيمان بضع وستون شعبة أعلاها :لا إله إلا الله ، وأدناها :إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان"[٤].

---

(١) نظم الدرر للإمام البقاعى ج١ ص ٧٥٠

(٢) انظر: الاحتباك فى القرآن دراسة بلاغية عدنان عبد السلام أسعد ١٤٢٥هـ ــ ٢٠٠٤م ص ٢١ ــ ص ٢٢ .

(٣) تفسير النيسابورى ج٦ ص ٥٦٠ .

(٤) الحديث أخرجه النسائى عن أبى هريرة برقم ٥٠٠٥ .

= كما حذف الموصوف فى قوله تعالى :" وعملوا الصالحات " أى " الأعمال الصالحات، ذلك أن القصد إلى الوصف :" الصالحات " وهى : ما كان خالصاً لوجه الله ، موافقا لشرعه، ويأتى هذا التركيب دائما:" آمنوا وعملوا الصالحات" بدون ذكر الموصوف.

= وقوله : " تواصوا بالحق " يستلزم أن يكونوا من أهل الحق ، لأن التواصى بشيء ليسوا من أهله عيب وذم ، والسياق للمدح ،" وتواصوا بالحق " أى: بلزومه، والثبات عليه ،ودعوة الناس إليه.

= كما حذف متعلق الصبر، وسكت عنه، والسكوت عن ذكره يعطيه دلالة الإطلاق ، والتعميم ، فى صدر ما ورد فى القرآن مما يصبر عليه المؤمنون من تكاليف الإيمان ، والابتلاء فى السراء والضراء ، وحين البأس[١].

وعلى الرغم من بناء السورة على الإيجاز تجد فيها تكراراً للفعل: " تواصوا "، من باب عطف الخاص على العام، تنبيهاً على خطورته ، وإشارة إلى تغايرهما ، وأنه لا يغنى أحدهما عن الآخر ، قالوا: " إن سعادة الإنسان فى قوتيه: العلمية ، والعملية ، فالتواصى بالحق راجع للقوة العلمية الاعتقادية وهو: معرفة الأحكام الشرعية بالأدلة والبراهين ، أو معرفتها تقليداً ، والتواصى بالصبر راجع إلى العمل ، لحديث " وحجبت الجنة بالمكاره"[٢] وهما شيئان متغايران[٣]، أو كرر التواصى ليتضمن الأول الدعوة إلى الله ، والثانى الثبات عليه.

---

(١) التفسير البيانى د/ عائشة عبد الرحمن . ط/ دار المعارف د/ت ص ٩٢ .
(٢) الحديث أخرجه البخارى ك: الرقاق ب : حجبت النار بالشهوات .
(٣) تفسير ابن عرفة محمد بن عرفة الورغمى ت: جلال الأسيوطى ط/ دار الكتب العلمية ج٤ ص ٣٤٦ .

١١- غالب المفردات معرفة

لم تنكر فى السورة إلا كلمة " خسر " بينما جاءت سائر مفرداتها إما معرفة بأل " العصر ــ الإنسان ــ الصالحات ــ الحق ــ الصبر، وإما بالموصولية " الذين آمنوا " .

فتتصدر لام الجنس لفظ " العصر "مراداً بها حقيقة العصر أى: الزمن ، ويأتى التعريف فى: "الإنسان " ليفيد الاستغراق بدلالة الاستثناء، أما التعريف فى: " الصالحات " فقد ذهب ابن عاشور إلى أنه تعريف مراد به الاستغراق ، أى: عملوا جميع الصالحات التي أمروا بها بأمر الدين، وعمل الصالحات يتضمن ترك السيئات(١).

لكن ما يقوله الإمام لا يدخل تحت قدرة بشر، ولا يمكن الإحاطة به، ولعل الأقرب ماذكره الشوكانى من أن المراد من التعريف " العهد " أى : الصالحات المعهودة التي يتحتم عليه القيام بها(٢).

وكذلك التعريف فى " الحق " للاستغراق ، واللام هنا تغنى عن تفصيل يتعذر حصره لأن دلالات الحق وإطلاقاته كثيرة فى القرآن ، والتعريف بلام الجنس أو الحقيقة يغنى عن ذكر هذا كله، ومثله " الصبر " أى : تواصوا بحقيقة الصبر ، لأن الصبر يكون على طاعة الله، وعن معصيته ، وعلى قدره ، صبر بالله ، ولله ، وفى الله ، واللام تغنى عن ذكر هذا كله .

أما التعريف بالاسم الموصول، فهو أقوى فى إثبات الصفات التي ذكرت بعده، لأنه يعنى أنهم يعرفون بهذه الصفات ، وأنها ديدنهم ، وهذا المعنى يضيع

---

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور م/١٥ ج/٣. ص ٥٣١ .

(٢) النشر لفوائد سورة العصر للإمام الشوكانى ج٣ ١٣٤٤ .

إذا جاء التعبير باسم مشتق ؛إذ لايعبر بالموصول إلا إذا كانت صلته وصفاً يُعرف بها موصوله ، فدل ذلك على أنها ليست صفة عارضة، وإنما هى ديدنهم ، ولعل ذلك هو سر التعبير بالأفعال الماضية :" آمنوا ــ عملوا ــ تواصوا " للدلالة على أنها صفة دائمة ثابتة لا تنفك عنهم .

ولم تنكر فى السورة إلا كلمة " خسر " لتفيد التعظيم ، أو التنويع والتفاوت ؛ إذ لا يسلم أحد من خسر،حتى أهل الجنة ، تنقص منزلة بعضهم بسبب ما يعرض لهم من الغفلة ، والتقصير فى الدنيا.

وتشير الموازنة بين التعريف والتنكير فى السورة إلى وضوح طريق النجاة ، وظهوره لمن كانت له عين، فهو الصراط المستقيم الذى يأتى فى القرآن مفرداً معرفاً " اهدنا الصراط المستقيم" ، بخلاف " خسر " ، فسبل الخسر كثيرة، وألوانه غزيرة، وهو ما يناسب الإبهام والتنويع الذى فى تنكيرها .

١٢ـ عطف الخاص على العام

عطف الخاص على العام من السمات الواضحة فى سورة العصر، فقد جاء فى الآية الثالثة ثلاث مرات، فعطف قوله تعالى : "وعملوا الصالحات " على " آمنوا" ، والعمل داخل فى الإيمان ، ثم عطف " وتواصوا بالحق " على :" عملوا الصالحات "، وهو داخل فيه، ثم عطف " وتواصوا بالصبر " على " تواصوا بالحق " ،وهو جزء منه ، وانظر كيف يكون الشيء خاصاً بعد عموم ، ثم يكون عاماً يأتى بعده خصوص ، فيكون عاماً وخاصاً فى وقت معاً .

وقد جاء ترتيب المعطوفات غاية الدقة، والتناغم مع الفطرة الإنسانية، وطبيعة الطريق "إيمان ــ عمل ــ دعوة ــ صبر " فعطف العمل على الإيمان يشير إلى انبثاق العمل الصالح من الإيمان ، وأن الإيمان هو دافع العمل، وهو أمر قلبى

فى أعماق النفس لا يملك الدلالة على نفسه إلا بالعمل الذى هو مظهر الإيمـــان، وهذا التلازم بين العمل والإيمان واضح فى جل آيات القرآن

ثـــم يأتى بعد تكميل النفس إكمال الغير ، بالتواصى بالحق ، وهو أعم من التواصى بالصبر، ومادمت تسلك سبيل الدعوة إلى الحق، فلا بد من سلاح الصبر الذى هو رأس الأمر .

ونلفت إلى أن عطف الخاص على العام فى السورة ليس من باب التنويه بشأن الخاص فحسب، بل يشير كذلك إلى أنه لا غنى بأحدهما عن الآخـــر، فـــى النجاة من الخسر الذى حكم الله بها على الإنسان ، فالإيمان بغير عمـــل خســـر، والعمل بغير إيمان خسر" لأنه لا يقبل﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾ (الفرقان/ ٢٣) ، وكذلك لا يكفى التواصى بالحق ، دون التواصى بالصبر . فقـــد يكون العبد على الحق، لكنه لا يصبر ، ولا يثبت عليه، فيسقط فى بئـــر الخســـر، والتواصى بالصبر لا غنى له عن التواصى بالحق، فقد يتواصى الإنسان بالصـــبر على الباطل كما قال الله فى حق الكفـــار﴿ وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ ﴿٦﴾ ﴾ (ص/ ٦).

وهكذا تجدك لا تستغنى بواحدة عن أخرى فى النجاة من مطلـــق الخســـر يقول ابن القيم : "المراتب أربعة باستكمالها يحصل للشخص غايـــة كمـــا لـــه ، **إحداها:** معرفة الحق **والثانية** : عمله بها، **الثالثة:** تعليمـــه إياهـــا ، **الرابعة:** صبره على تعلمه ، والعمل به ، وتعليمه، فذكر الله هذه المراتب الأربعة فى هـــذه السورة ..، وهذا نهاية الكمال ؛ فإن الكمال أن يكون الشخص كاملاً فـــى نفســـه مكملاً لغيره.." (١).

(١) مفتاح دار السعادة لابن القيم ج١ ص ٥٦ .

ثم إنه لا تناقض بين المراتب الأربعة ،وبين قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ ﴿١٠٥﴾ ﴾(المائدة /١٠٥). لأنه قال:"إذا اهتديتم" ولم يقل:"إذا لم تأمروا بالمعروف وتنهوا عن المنكر.

وتتناسب فكرة عطف الخاص على العام فى السورة مع تفاوت درجات المؤمنين فى الجنة ، وتفاوت مراتبهم فى الاستمساك بمنهج النجاة، فليس من آمن وعمل صالحاً ،كمن جمع إليهما التواصى بالحق، والتواصى بالصبر، وبقدر ما يجمع من منازل هذه الصفات تكون منزلته فى الآخرة، وتكون نجاته من الخسر، وفرق كبير بين من ينجو من الخسار المطلق ، ومن ينجو من مطلق الخسر .

١٣ ـ إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات

اقترن الإيمان ، بالعمل الصالح أكثر من خمسين مرة فى القرآن الكريم، والظاهرة العامة هى الاكتفاء بذكر الإيمان، والعمل الصالح(١).

ويلفت النظر أن الغالب منها يأتى الحديث بصيغة الجمع:" آمنوا وعملوا" فى إشارة إلى أن نهضة الأمة مهمة الأمة، وليست جهداً فردياً ، فهى قضية الأمة، وحيث أفرد الحديث عن المؤمن وعمله الصالح فغالباً يكون الحديث عن أعمال الفرد، وتوبته.

كما إن نهضة الأمة تقتضى تصوراً مشتركا بينها وهو الإيمان ، وتقتضى كذلك أعمالاً كثيرة تتسم بالصلاح، وتتلازم مع الإيمان ، ولذلك جاء التعبير:

(١) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم . محمد فؤاد عبد الباقى. ط دار المعارف بيروت الطبعة الرابعة ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م .

" وعملوا الصالحات " ، ولم يقل: "صالحاً "، لأن النهضة نتيجة أعمال، وليس عملاً واحداً، وهى أعمال ليست من جهد فرد، وإنما عمل جماعة [١].

وهذا التعبير " الذين آمنوا وعملوا الصالحات " لم يقع بعد الاستثناء إلا فى خمس مواضع لم يذكر الجواب فى ثلاثة منها، وهى على ترتيبها فى القرآن هكذا :

١ــ ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا ظُلِمُواْۚ ﴿٢٢٧﴾ ﴾ (الشعراء/ ٢٢٧)

٢ــ ﴿ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلۡخُلَطَآءِ لَيَبۡغِي بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴿٢٤﴾ ﴾ (ص/ ٢٤).

٣ــ ﴿ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٍ ﴿٢٥﴾ ﴾ (الانشقاق / ٢٤ ، ٢٥) .

٤ــ ﴿ ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٍ ﴿٦﴾ ﴾ (التين/ ٥ ، ٦) .

٥ــ ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ ﴿٣﴾ ﴾ (العصر / ٣) .

نلحظ أولا أن سور (ص) ، و (الانشقاق) ، و (التين) اقتصرت على ذكر الإيمان والعمل الصالح ، ويرجع ذلك ــ والله أعلم إلى أن آية (ص) تتحدث

(١) اقتران الإيمان بالعمل الصالح فى القرآن ودلالته الحضارية . د/ عبد الرحمن حللى ، ص ١٦ ، ١٧ .

عن بغى كثير من الخلطاء على بعض ، وهو عمل يكفى فى دفعه الإيمان والعمل الصالح .

ــ وفى سورتى (الانشقاق ، والتين كان الحديث عن النجاة من العذاب " فبشرهم بعذاب أليم"، " ثم رددناه أسفل سافلين " ، والإيمان والعمل الصالح يكفلان للعبد النجاة من العذاب لا من مطلق الخسر؛ فقد يكون من أهل الجنة، لكنه خسر منزلة فى الجنة بتقصيره، أو غفلته عن أمر ما .

ــ أما آية الشعراء فقد ذكر بعد الإيمان ، والعمل الصالح صفتين هما : " وذكروا الله كثيرا وانتصروا من بعد ما ظلموا .. " والآية فى سياق حثهم على الدفاع عن الدين ، وعن رسولهم ــ صلى الله عليه وسلم ــ " فالاستثناء من عموم الشعراء ، أو من حكم ذمهم ، وبهذا الاستثناء تعين أن المذمومين هم شعراء المشركين الذين شغلهم الشعر عن القرآن والدخول فى الإسلام ، ومعنى: " ذكروا الله كثيرا " ، أى كان إقبالهم على القرآن والعبادة أكثر من إقبالهم على الشعر ، ومعنى " انتصروا من بعد ما ظلموا ": هم من أسلم من الشعراء، وقالوا الشعر فى هجاء المشركين، والانتصار للنبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ ، [١]

أما سورة العصر فلم يقتصر الحديث فيها على النجاة من العذاب ، وإنما تحدثت عن منهج النجاة من الخسر المطلق، ومطلق الخسر ، ولذلك جمعت إلى الإيمان والعمل الصالح ــ التواصى بالحق، والتواصى بالصبر، فالإيمان والعمل الصالح لا يكتب لهما البقاء إلا فى ظل حركة اجتماعية تستهدف الدعوة إلى الحق ومعرفته من جهة ، والدعوة إلى الصبر والاستقامة عليه من جهة أخرى ، وبمجموع هذه الصفات تتحقق النجاة من الخسر، وليس من العذاب بحسب ، ولذا لم تجمع آية من الآيات السابقة ما جمعته سورة العصر .

---

(١) التحرير والتنوير لابن عاشور م٩ ج١٩ ص ٢١٠ ــ ٢١١ .

ونلحظ أن كلمة " خسر " نكرة تفيد العموم ، والعموم يقتضى التعدد ، أى أن الخسر الذى يقع فيه الإنسان ليس خسرا واحدا ، بل خسر ذو مستويات عديدة، فهناك ما هو أدنى، وما هو أعلى ، فجاءت كلمة " خسر " منكرة لتستوعب ذلك كله ، وهو ما استوجب ذكر الزيادة : " وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر " فمن أخل بشرط التواصى بالحق والصبر فى ظل كونه من " الذين آمنوا وعملوا الصالحات " فإنه حتما من أهل الجنة ، لكنه " لن يبلغ أعلى الدرجات ليكون بذلك فى خسر، لأنه لن يبلغ من النعيم ما يبلغه لو كان ممن تواصوا بالحق، وتواصوا بالصبر [١]

وفى هذا الاستثناء تسلية للمؤمن من فوت عمره وشبابه ، لأن العمل قد أوصله إلى خير من عمره وشبابه ، كما إنه تنبيه على أن كل ما دعاك إلى طاعة الله فهو الصلاح ، وكل ما شغلك عن الله بغيره فهو الفساد [٢] .

---

(١) الإعجاز البيانى فى القرآن ــ من سورة التكاثر إلى سورة الهمزة د/ محمد المزيودى ص١٥ ــ ١٦ .

(٢) تفسير الفخر الرازى م ١٦ ، ج/٣٢ ص ٨٤ .

الخاتمـــــة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خير مبعوث إلى خير أمة، بخير دين، وعلى آله ، وصحبه، والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

وبعـــــد

فهذه دراسة في رحاب سورة العصر"، بذلت وسعها فـــي إبـــراز ألـــوان المناسبات والسمات في السورة الكريمة، وكان ذلك من خلال تجاوز البحث حدود النظر فى ترتيب آيات السورة وعلاقتها بالسورة السابقة واللاحقة ـــــ إلى دائرة أوسع تستبصر علاقة السورة بسياقها التزيلى، ومحورهـــا القرآنـــي، وعلاقتهـــا بالسور التي تشاركها فى المطلع، والموضوع، وعلاقتها بسياقها القريب ســـابقاً ولاحقاً، والسمات التي برزت فيها، وبقدر ما تتسع دائرة البحث فـــى المناســـبات يكون عطاء المعنى.

وقد انتهـــت الدراسة إلى نتائج عـدة أهمها:

١ــ أن التناسب القرآني من أهم مداخل إعجاز القرآن ، ومفاتيح تـــدبر معانيـــه، وعلى كثرة ما كتب فيه مازال روضا أنفا يفتح بابه لذوى البصائر البيانيـــة القادرة على التقاط أسراره، واستخراج مكنون عطائه.

٢ــ أظهرت الدراسة ألواناً من المناسبات فى السياقات المختلفة للسورة الكريمة، ففي السياق الداخلي للسورة ظهرت المناسبة بين مطلع السورة ومقصودها، وبين المطلع والخاتمة، وبين آيات السورة، وفى السياق الخـــارجي ظهـــرت ألوان التناسب فى سياق السورة المصحفى، وســـياقها التزيلـــى، وســـياقها القريب السابق واللاحق، وسياقها المرتبط بالسور التي بدأت بالقسم بالزمن .

٣ــ وكذلك أظهرت الدراسة ألوانا من السمات والخصائص التي برزت فى سورة العصر.

وانتهت الدراسة إلى توصيات عـدة أهمها :ـ

١ــ يجب أن يتجاوز البحث فى التناسب القرآني حدود ترتيـب آيـات السـورة وعلاقتها بسابقتها ولاحقتها إلى أبواب أخرى ذكرنا بعضها فـى الدراسـة، ونضيف كذلك التناسب فى موضوعات القرآن مثل التناسـب بـين الطاعـة وجزائها، أو بين الذنب وعقابه، أو بين القصة والسورة التي وردت فيهـا، فهذا يفتح بابا من العطاء القرآني لا يمكن أن نصل إليه إذا ظل البحـث فـى التناسب حبيس السياق الداخلي للسورة القرآنيـة أو وقـف عنـد علاقتهـا بالسياق السابق واللاحق.

٢ــ ضرورة الاهتمام بجانب التناسب القرآني وإدخاله فى البناء المعرفى لمناهج البلاغة التي تدرس لأبناء أزهرنا الشريف من خلال التطبيقات القرآنية فهى خير ما يربى الذوق ، ويرقى بالفطرة البيانية .

٣ــ ضرورة إفراد دراسة مستقلة فى التناسب بين السور فى سياقها التزيلى على غرار " تناسق الدرر" للإمام السيوطى .

٤ــ فتح باب الموازنة بين جهود علماء المناسبات مثل: الغرناطى، والبقـاعى ، والسيوطى .

٥ــ دراسة الجهود البلاغية والمناسبات القرآنية فى كتاب السـيوطى : " قطـف الأزهار فى كشف الأسـرار " .

٦ــ دراسة التناسب عند الشيخ سيعد حوى فى كتابــه الأســاس فــى التفســير، وأقترح أن تكون الدراسة بعنوان :" فكــرة الوحــدة الموضــوعية وأثرهــا فى التناسب القرآنى عند الشيخ سعيــد حوى فى كتابــه : " الأســاس فــى التفسير " .

وبعد فلست أدعى أنى بلغت الغاية فى الوفاء بحق هذه الدراسة، وإنما هى محاولة جادة بذلت وسعها، واستغرقت جهدها فى استبصــار ألــوان المناســبات والسمات فى سورة العصر ، وحسبى أنى اجتهدت ، وأسأل الله ــ سبحانه ــ أن يغفر زلتى ، وأن يرحم ضعفى وتقصيرى وهو حسبى ونعم الوكيل .

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين ،

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

ثبت بأهم المصادر والمراجع

[١] الإتقان فى علوم القرآن ـــ للإمام السيوطى ط: دار التراث ــ د/ ت .

[٢] الاحتباك فى القرآن ــ دراسة بلاغية ــ عدنان عبد السلام أسعد ، ١٤٢٥هـ ــ ٢٠٠٤م .

[٣] الأساس فى التفسير. سعيد حوى . ط: دار السلام ، الطبعة السادسة، ١٤٢٤هـ ــ ٢٠٠٣ م.

[٤] أسرار البلاغة. للإمام عبد القاهر الجرجانى . ت: محمود محمد شاكر. ط: مكتبة المدنى ــ الطبعة الأولى، ١٤١٢هـ ــ ١٩٩١م .

[٥] إشراقات قرآنية : دراسة فى جزء "عم" . د/ سلمان العودة، د/ط . د/ت .

[٦] أضواء البيان فى إيضاح القرآن بالقرآن. للإمام الشنقيطى. ط: دار إحياء التراث العربى ــ الطبعة الأولى ،١٤١٧هـ ـــ ١٩٩٦م .

[٧] أضواء على ظهور المناسبات : د/ عبد الحكيم الأنيس . مجلة الأحمدية العدد ١١ جمادى الأولى، ١٤٢٣هـ . دار البحوث للدراسات وإحياء التراث .

[٨] الإعجاز البيانى فى القرآن ـــ من سورة التكاثر إلى سورة الهمزة، د/ محمد مبارك المزيودى، د/ط ، د/ت .

[٩] إعجاز القرآن الكريم . للإمام الباقلانى شرح وتعليق د/ محمد عبد المنعم خفاجى . ط: دار الجيل بيروت ، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ ــ ١٩٩١م .

[١٠] اقتران الإيمان بالعمل الصالح فى القرآن ودلالته الحضارية . د/ عبد الرحمن حللى . مجلة جامعة دمشق . م/٢٧ ــ ٢٠١١م .

[١١] الإمام البقاعى ومنهاجه فى تأويل بلاغة القرآن. أ.د/ محمود توفيق سعد . ط/مكتبة وهبة. الطبعة الأولى ، ١٤٢٤م .

[١٢] البرهان فى علوم القرآن.للإمام الزركشى.ط:دار الفكر،بيروت الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ.

[١٣] بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب العزيز. للفيروزآبادى ت: محمد على النجار ، ط: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م .

[١٤] البلاغة القرآنية فى تفسير الزمخشرى. د/ محمد محمد أبو موسى . ط: مكتبة وهبة ، الطبعة الثانية ، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٩٨م .

[١٥] بيان إعجاز القرآن للإمام الخطابى . ضمن ثلاث رسائل فى إعجاز القرآن . ت/محمد زغلول سلام . ط / دار المعارف ، الطبعة الثانية ، ١٣٨٧هـ ـ ١٩٩٨م .

[١٦] البيان والتبيين . للإمام الجاحظ. ت: عبد السلام هارون ، مكتبة الخانجى . الطبعة الخامسة ، ١٤٠٥هـ ، ١٩٨٥م .

[١٧] بيان معانى القرآن . عبد القادر مُلا حويش. مطبعة الترقى ، دمشق . الطبعة الأولى ، ١٣٨٢هـ ـ ١٩٦٥م .

[١٨] تأملات فى سورة العصر، محمد عادل القلقيلى . مجلة هدى الإسلام الأردن مجلد ٢٧ ـ عدد ٨ ، ١٩٨٣م .

[١٩] تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة. شرح: السيد أحمد صقر. ط: المكتبة العلمية. د / ت .

[٢٠] التبيان فى أقسام القرآن ، لابن قيم الجوزية.ط: دار الإيمان ، ٢٠٠٢م .

[٢١] التحرير والتنوير، للطاهر ابن عاشور. ط: دار سُحنون ، ١٩٩٧م .

[٢٢] تفسير ابن عرفة، محمد بن عرفة الورغمى، ت: جلال الأسيوطى ، ط / دار الكتب العلمية . د /ت .

[٢٣] تفسير الإمام الشافعى . جمع وتحقيق أحمد مصطفى . نشر : الدار التدمرية، الطبعة الأولى ، ١٤٢٧هـ .

[٢٤] التفسير البيانى للقرآن د/ عائشة عبد الرحمن . ط: دار المعارف ، الطبعة الخامسة ، د/ت .

[٢٥] التفسير الحديث: محمد عزة دروزة ط: دار إحياء الكتب العربية ١٣٨١هـ ـ ١٩٦٢م.

[٢٦] تفسير سورة العصر: عبد الرحيم عبد الجليل، مجلة هدى الإسلام الأردن ١٨٧٥م .

[٢٧] تفسير سورة العصر د/ عبد العزيز عبد الفتاح، مكتبة الدار ، د/ت .

[٢٨] تفسير نظام القرآن ، وتأويل الفرقان بالفرقان، عبد الحميد الفراهى، مجموعة سورة . جمع: سليمان الغدوى ١٣٠٧هـ .

[٢٩] تناسق الدرر فى تناسب السور. للإمام السيوطى . ت/ عبد القادر عطا، ط: دار الكتب العلمية ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م .

[٣٠] الجامع لأحكام القرآن . للإمام القرطبى ط: دار الحديث، ١٤٢٨هـ ـ ٢٠٠٧ م .

[٣١] جامع البيان عن تأويل آى القرآن للإمام: ابن جرير الطبرى ، ط: دار الفكر بيروت،١٤٠٠هـ .

[٣٢] الجامع الصحيح للإمام البخارى ط: دار ابن كثير، بيروت الطبعة الثالثة ١٣٠٧هـ ـ١٩٨٧م .

[٣٣] الجامع الصحيح للإمام الترمزى . ت/ أحمد محمد شاكر . ط: دار الحديث القاهرة. د/ت

[٣٤] دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجانى ت: محمود محمد شاكر. مطبعة المدنى ، الطبعة الثالثة ، ١٤١٣هـ ـــ ١٩٩٢م .

[٣٥] سلسلة الأحاديث الصحيحة. للإمام الألبانى ـ ط: مكتبة المعارف الرياض: الطبعة الأولى ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م .

[٣٦] سنن الإمام النسائى بشرح الإمامين السيوطى، والسندى ت: السيد محمد ، وعلى محمد على ، وسيد عمران ط: دار الحديث ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م .

[٣٧] شرح الإمام النووى على صحيح مسلم . ط: دار الخير ، دمشق ـ الطبعة الثانية ، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م .

[٣٨] الطريق إلى نجاة العالم ـ تأملات فى سورة العصر . د/ خالد فهمى ، مجلة الوعي الإسلامى ، وزارة الأوقاف الكويتية ـ عدد ٦٠٤ سنة ٢٠١٠م.

[٣٩] غرائب القرآن ورغائب الفرقان للنيسابورى ط: دار الكتب العلمية بيروت . الطبعة الأولى ١٩٩٦م .

[٤٠] الفوائد لابن قيم الجوزية، ط: دار الكتب العلمية بيروت لبنان ، الطبعة الثانية ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م .

[٤١] فى ظلال القرآن ـ السيد قطب ـ ط:دار الشروق. الطبعة الخامسة عشرة ١٤٠٨هـ ـ ١٩٩٨م .

[٤٢] قطف الأزهار فى كشف الأسرار للإمام السيوطى ، ت: أحمد الحمادى ، إصدار وزارة الأوقاف القطرية . الطبعة الأولى ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م .

[٤٣] الكشف والبيان " تفسير الثعلبى " أبو إسحاق الثعلبى . ت/ محمد عاشور ، ونظير الساعدى ط: دار إحياء التراث العربى بيروت لبنان الطبعة الأولى ١٤٢٢هـ ـ ٢٠٠٢م .

[٤٤] كشف المعاني فى المتشابه من المثانى ، لبدر الدين بن جماعة . ت/ عبد الجواد خلف ، ط: دار الوفاء ، الطبعة الأولى ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م .

[٤٥] لسان العرب. لابن منظور الإفريقى ط: دار صادر ، بيروت ، الطبعة الأولى. د/ت.

[٤٦] اللباب فى علوم الكتاب أبو حفص الدمشقى ت: عامل عبد الموجود، وعلى معوض ط: دار الكتب العلمية. بيروت الطبعة الأولى ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م .

[٤٧] المجموع شرح المذهب للإمام النووى ت: د/ محمود مطرحى، ط: دار الفكر بيروت ١٤٢٥هـ ـ ٢٠٠٥م .

[٤٨] مجموع الفتاوى للإمام ابن تيمية، ت/ عبد الرحمن النجدى، مكتبة ابن تيمية للنشر د/ت .

[٤٩] المدخل لدراسة القرآن، د/محمد محمد أبو شهبة، مكتبة السنة ، الطبعة الأولى ١٤١٢هـ.

[٥٠] المسند الصحيح المختصر" صحيح مسلم " للإمام مسلم بن الحجاج ت: محمد فؤاد عبد الباقى- ط : دار إحياء التراث العربى . بيروت . د/ت .

[٥١] مصاعد النظر للإشراف على مقاصد السور للإمام البقاعى، مكتبة المعارف الرياض الطبعة الأولى د/ ت .

[٥٢] معارج التفكر ودقائق التدبر، لعبد الرحمن بن حبنكة الميدانى ـ ط: دار القلم . الطبعة الأولى ، ١٤٢٠هـ ـ ٢٠٠٠م .

[٥٣] معترك الأقران فى إعجاز القرآن للسيوطى. ط: دار الكتب العلمية ، بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م .

[٥٤] المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، محمد فؤاد عبد الباقى . ط: دار المعرفة بيروت: الطبعة الأولى ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م .

[٥٥] مفتاح دار السعادة لابن القيم ـ ط : دار الكتب العلمية ، بيروت د/ت .

[٥٦] مفاتيح الغيب. للإمام الرازى ، تقديم: خليل محى الدين ط: دار الفكر بيروت ١٤١٥هـ ـ١٩٩٥م .

[٥٧] مقاييس اللغة ، لابن فارس ت: عبد السلام هارون ط: دار الجيل ، بيروت الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ ـ ١٩٩٩م .

[٥٨] موسوعة صحيح فضائل سور القرآن ، محمد رزق طرهونى. مكتبة العلم بجدة الطبعة الثانية ، ١٤١٤هـ .

[٥٩] النبأ العظيم نظرات جديدة فى القرآن د/ محمد عبد الله دراز ط: دار القلم . الطبعة التاسعة ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥م .

[٦٠] النشر لفوائد سورة العصر ، للإمام الشوكانى. ت/ محفوظة شرف الدين د/ط ـ د/ت .

[٦١] نظرية الوحدة الموضوعية للقرآن ،من خلال كتاب الأساس فى التفسير للأستاذ / سعيد حوى ـ إعداد د/ أحمد الشرقاوى د/ ط: د /ت .

[٦٢] نظم الدرر فى تناسب الآيات والسور للإمام البقاعى .ط: دار الكتب العلمية، الطبعة الثالثة ، ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م .

فهرس الموضوعات

م	الموضـــــــــوع	الصفحة
١	**المقدمـــــــة**	٦٣٣٠
٢	**التمهيد** مفهوم التناسب وأهميته	٦٣٣٥
٣	التناسب والدراسات القرآنيـــــة	٦٣٣٨
٤	التناسب والتفسير	٦٣٤٠
٥	التناسب على المستوى التنظيرى فى علـــوم القرآن	٦٣٤٤
٦	**الفصل الأول :** التناسب فى سياق السورة الداخلى	٦٣٤٨
٧	بين يدى السورة " التعريف بالسور ـ فضلها ـ مقصودها "	٦٣٤٩
٨	التناسب بين القسم وموضوع السورة	٦٣٥٥
٩	التناسب بين المطلع والخاتمـــــــة	٦٣٦٩
١٠	التناسب بين آيات الســـــــورة	٦٣٧٠
١١	**الفصل الثانى :** التناسب فى سياق السورة الخارجى	٦٣٧٣
١٢	السورة فى سياقها المصحفى	٦٣٧٤
١٣	السورة فى سياق أوســـــع	٦٣٧٨
١٤	السورة فى سياقها التنزيلـى	٦٣٨٠
١٥	السورة ومحورها القرآنـــى	٦٣٨٤
١٦	السورة بين السورة التي أقسمت بالزمان	٦٣٨٧
١٧	بين ســـورة العصر وســـــورة التين	٦٣٩٣
١٨	**الفصل الثالث**: ســـمات الســـورة	٦٣٩٧
١٩	**الخاتمـــــــــة**	٦٤٢١
٢٠	**ثبت بأهم المصادر والمراجع**	٦٤٢٤
٢١	**فهـرس الموضوعات**	٦٤٣٠